1-30
8030

٤ شاقل

الكاتب ٩٣

للثقافة الانسانية والتقدم

العدد
الثالث والتسعون
كانون الثاني ١٩٨٨

* نظرة على ذكرى المناطق المحتلة لعام ١٩٤٨.
* نظرة على الاوضاع والخدمات الصحية في الضفة الغربية وقطاع غزة.
* نحو نظرة علمية لقضية الوحدة اليمنية.
* ندوة: مسيرة اتحاد الكتاب الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة.

* حوار مع الكاتب اميل حبيبي.

* في الذكرى الاول لوفاة البروفيسور فون لايبنتس.
البارون الاحمر الذي نقل القرآن الى الالمانية.

* الحركة المسرحية في المناطق الفلسطينية المحتلة.

مع اطلالة العام الجديد

هدف الدولة المستقلة بات قريب المنال

Digitized by Birzeit University Library

ساحة المهد في بيت لحم ايام عيد الميلاد .

Digitized by Birzeit University Library

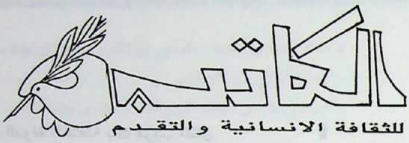

المحرر المسؤول
رئيس التحرير
أسعد الاسعد

هاتف: ٢/٨٥٦٩٣١.
ص.ب ٢٠٤٨٩
القدس

AL KATEB
FOR HUMAN CULTURE
AND PROGRESS

Editor
As'ad Al-As'ad
P.O.BOX 20489 Jerusalem
TEL: (02)856931

الاشتراك السنوي بالدولار

	محليا	أوروبا	بلدان أخرى
للافراد	٢٥	٤٠	٥٠
للمؤسسات	٥٠	١٠٠	١٥٠

العدد - ٩٣ - كانون الثاني ١٩٨٨ - السنة التاسعة - NO.93 January 1988

Digitized by Birzeit University Library

المحتويات

سياسة

مع اطلالة العام الجديد هدف الدولة المستقلة بات قريب المنال ٤

نظرة على مفكرة المناطق المحتلة لعام ١٩٨٧ ٨

دراسات وأبحاث:

نظرة على الاوضاع والخدمات الصحية في الضفة الغربية وقطاع غزة ١٢
اعداد/ اتحاد لجان الاغاثة الطبية الفلسطينية

نحو نظرة علمية لقضية الوحدة اليمنية ٣٣
* د.عبد الرزاق مسعد سلام / عدن*

ندوات:

ندوة: مسيرة اتحاد الكتاب الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة ٤١

لقاء العدد:

حوار مع الكاتب اميل حبيبي ٥٣

مراجعة كتب:

"كتاب قرأته" منهج الواقعية في الابداع الادبي للدكتور فضل صلاح ٥٨
* مراجعة - صبحي الشحروري *

شعر

* الذبالة* ٧٣
* محمد شريم*

Digitized by Birzeit University Library

* مختارات من الشعر المعاصر في الاورغواي/ترجمة د.محمد عبدالله الجعيدي
- الوطن /البيرتو كارابيو ٧٦
- امرؤ يرنو من المنفى الى وطنه / ماريو بينيدتو ٧٧

قصة

(وظيفة)
= اشرف غيطان / الاردن = ٧٨
لازم نضف ٨٠
= مصطفى مرار =
ميلاد فجر ٨٣
= محمد ابو رجب =

مسرح:

الحركة المسرحية في المناطق الفلسطينية المحتلة
٢ - المسرح الشعبي (سنابل) ٨٥
= اعداد/جميل السلحوت=

متفرقات:

في الذكرى الاولى لوفاة البروفيسور فون لايبنتس ٦٩
البارون الاحمر الذي نقل القرآن الى الالمانية
= د.عبد القادر حسين ياسين =
المؤتمر العاشر لاتحاد كتاب المانيا الديموقراطية ٩٢

أصداء ثقافية ٩٤

Digitized by Birzeit University Library

مع اطلالة العام الجديد

هدف الدولة المستقلة

بات قريب المنال

مع صدور هذا العدد تكون شمس العام ٨٧ قد غربت. ومن عادة الناس ان يفرشوا دروب العام الجديد بباقات زهر الاماني وان يضيئوها بمشاعل الامال. وحتى لا تكون الاماني والامال ضربا من أحلام اليقظة ، او نوعا من الركض وراء سراب الاوهام ، تجري عملية تقليب وقراءة متأنية لصفحات احداث العام الذي مضى، بغرض استخلاص العبر واستلهام افكار تشكل لبنات الخطط العملية التي توصل الى او تقرب امد تحقيق الامال.

وصفحات العام ٨٧ غنية بالاحداث ، ولا يتسع مثل هذا المقال حتى لتعداد عبرها. لكن التوقف عند بعض ابرزها يقدم الكثير من الفائدة في اعتقادنا. ونستدرك قائلين ان بناء سليما لخطط عملية توصل او تقرب تحقيق الطموحات والامال يحتاج لتقليب أوراق اكثر من عام وحتى اكثر من عقد من الاعوام.

بداية يمكن أن نقول ، استنادا لدراسة سريعة لاوراق العام ٨٧، انه شهد انتصارا كبيرا للتفكير الجديد. التفكير الذي يتمحور حول فكرة وحدة مصير البشرية رغم تعارض ايديولوجياتها وتنوع العقائد السياسية والاجتماعية والاقتصادية والافكار الدينية...الخ.

ووحدة مصير البشرية ، حسب التفكير الجديد ، لم تقم على تقدم التكنولوجيات وتقريب المسافات وقدرة الاعلام على نقل ما يحدث في اي ركن قصي من العالم ، وادخاله الى كل بيت ، ليصبح جزءا من حياة كل البشر، يتأثرون به وليكونوا أصحاب حق في كيفية معالجته ، بل هناك وحدة مواجهة الخطر المشترك. خطر الابادة الشاملة للجنس البشري وللحضارة الانسانية ، خطر وقوع الكارثة النووية.

ان وحدة المصير للجنس البشري في مواجهة الكارثة النووية ، واخطار اخرى قد تساويها او توصل اليها ، فرضت البحث عن مشاركة وحلول جماعية للمشكلات التي تواجهها البشرية مجتمعة او تنذر بتطورها الى مواجهة شاملة مثل النزاعات الاقليمية.

واستنادا لهذا يمكن القول ان توقيع معاهدة تصفية صنف كامل من الاسلحة النووية - الصواريخ متوسطة وقصيرة المدى - مثّل انتصارا كبيرا للتفكير الجديد ، للبحث الجماعي عن حلول لصيانةالحياة والحضارة الانسانية .

Digitized by Birzeit University Library

وامكن بحق تسمية لحظة توقيع الاتفاقية بلحظة التحول الفعلي نحو تاريخ جديد تكتبه البشرية. ومن هنا فاقت الاهمية السياسية والمعنوية للاتفاقية الاهمية الفعلية بتصفية ما نسبته ٤٪ فقط من الترسانة النووية ، هي بالفعل كافية للقضاء على الجنس البشري وما بناه من حضارة انسانية. لقد اوضحت الاتفاقية ان ما كان حلما او سرابا غير قابل للتحقيق قد تحقق فعلا. ومباشرة فتحت الاتفاقية الطريق نحو امكانية تخفيض حتى ٥٠٪ من الاسلحة الاستراتيجية والعابرة للقارات..

وبديهي ان تحقيق هذا الانجاز للجنس البشري لم يكن امرا سهل المنال. ولم يكن ثبوت صحة الفكرة القائلة بتوحد البشرية امام خطر الكارثة النووية ، كافيا، لوحده ،لاقناع قوى عملت عشرات السنوات على تكديس سلاح الأبادة وتكديس الارباح الضخمة من ورائها ، وتسعير حدة التوتر الدولي وترتيب مصالحها على أساس ديمومة هذا الوضع بما فيه من نهب طبقات وشعوب بكاملها ، لم يكن كافيا للتسليم والعودة عن هذا النهج الخطر رغم تهديده لحياتها ذاتها.

لقد شهد العام ٨٧ منذ بدايته تعاظما للصراع بين قوى السلام ، حكومات ومنظمات وتجمعات وأفراد تتسع باضطرادلتضم عشرات الملايين من الناس ذوي الارادة الطيبة، في مواجهة قوى الحرب والعدوان. وشهد العام ٨٧ اصطفافا واضحا بين محبي السلام واعدائه. وتميز الحلف الاول بجمعه بين دول المنظومة الاشتراكية وفي مقدمتها الاتحاد السوفييتي ، وعشرات حركات السلام والحفاظ على البيئة ،على اختلاف معتقداتهم وافكارهم، وحركات التحرر الوطني وقوى عدم الانحياز ليشكل كتلة جبارة تشد الى جانبها ملايين وملايين كل يوم . في حين ضم الحلف الثاني كل قوى العدوان ابتداءا من قيادات حلف الاطلسي المتطرفة ، وحتى اصغر نظام يطمع في ثروات شعب آخر، ويضطهده او يضطهد شعبه ذاته، ومرورا بأصحاب المجمعات الصناعية العسكرية والشركات متعددة القومية - وغيرها من المتعيشين على الحروب والكوارث.

ومع ان جبهة معارضة نزع السلاح ظهرت ، وحتى نهاية الربع الثالث من العام ٨٧، وكأنها صاحبة اليد العليا ، الا ان جبهة السلام كانت بدأب ومثابرة ، تسحب البساط من تحت ارجلها وتدفعها بثبات نحو زاوية ضيقة ، لم تجد امامها في النهاية غير القبول بخيار الاستجابة لمطلب البشرية في التوقيع على معاهدة ازالة الصواريخ متوسطة وقصيرة المدى. ورغم ان الصراخ بعد ذلك تعالى حاثا الرئيس الاميركي على عدم السير أبعد على طريق نزع اسلحة اخرى الا ان انجاز معاهدة بنزع ٥٠٪ من الاسلحة الاستراتيجية والعابرة للقارات قد بات وشيكا. وقد بات واضحا للعيان ان مبادرة حرب النجوم هي الاخرى يجري تطويقها وتقييدها.

والنزاعات الاقليمية من بين قضايا اخرى ، كالديون والبيئة.. ، تشكل نوعا من الالتهابات او التقيحات في جسم البشرية ، قد يهدد تفاقم خطرها حياة الجسم كله. ولذلك تتبدى اكثر واكثر اهمية وضرورة البحث الجماعي عن حلول لها تأخذ بالحسبان مصالح الاطراف جميعها كما كان الحال في توقيع معاهدة تصفية الصواريخ النووية.

وكما كان الحال في القضية الكبرى ، فان التوصل الى حلول لقضايا النزاعات الاقليمية ليس سهلا. وكالسابق يدل المؤشر على ان الحلول ستكون لصالح البشرية أي في مصلحة الشعوب التي تعاني الاضطهاد والاستغلال . لكن الشعوب المعنية تظل هي صاحبة الدور الاول والاساسي في العملية بصفتها الاطراف المباشرة في عملية الصراع.

وتشكل القضية الفلسطينية واحدة من ابرز قضايا النزاعات الاقليمية، واكثر بؤر التوتر

Digitized by Birzeit University Library

سخونة في العالم واشدها خطرا ووضوحا باحتمال تحول النزاع الاقليمي لنزاع عالمي شامل.

ورغم تفرد وخصوصية قضيتنا عن سائر قضايا النزاعات الاقليمية الا انها تقدم مؤشرا ومثالا ملموسا على اثر التفكير الجديد في صياغة الحلول لمثيلاتها من النزاعات.

لقد دخلنا العام ٨٧ وبدا وكأن قوى العدوان ، وحليفاتها من قوى الاستسلام العربي ، قد اوشكت ان تقبض بأيديها على ثمرة ما طبخته من دسائس وما حاكته من مؤامرات. بدا وكأن ديكورات فصل الختام هي كل ما تبقى عليها ان تفعله. وهكذا انشغلت في البحث عن المظلة، حجمها ، الوانها وترتيب الكراسي تحتها ولاضفاء القانونية الدولية على كل ما تم الاتفاق عليه.

وبدا، ومنذ اطلالة العام ٨٧، وكأن الشعب الفلسطيني بات بلا اي حول اول طول ، فجزؤه الموجود في الاردن تتكفل قوات النظام الاردني بالابقاء عليه في حالة الشلل. وجزؤه الموجود في لبنان يواصل الترنح ومحاولات الوقوف على القدمين تحت هول الضربات التي تهوي على رأسه واحدة تلو اخرى. واجزاؤه الاخرى في الشتات ليس حظها من القمع بأفضل من حال شقيقاتها في الاردن ولبنان. والمهم في الامر بدا جزؤه الاساسي الثابت على تراب الوطن ، وهكذا ظن اعداؤه، انه تلقى من الضربات ما يجعله غير قادر على النهوض واستعادة توازنه من جديد. وان القيادة البديلة باتت جاهزة، وانه بالامكان مقايضة حق تقرير المصير والدولة المستقلة بحفنة من الدنانير من خلال خطة التنمية او مشاريع تحسين شروط المعيشة، والتقاسم الوظيفي وغيرها..

ومع بداية العام ٨٧، بدت قوى التآمر ، كما ظهر من تصريحاتها ومواقفها ، ما يجعلها في غاية الاطمئنان لصلابة النتائج التي ظنت انها حققتها. وهكذا ظهرت اكثر وقاحة في كشف نواياها وفي لقاءاتها واتفاقاتها.

لكنه ما كاد ان ينقضي الربع الاول من العام ٨٧ حتى كانت الجماهير الفلسطينية ، في كل مواقعها ، تفرض على قيادات فصائلها الوطنية ، ضرورة الخروج من طريق التمزق والانقسام والدخول في مفاوضات لاستعادة وحدتها - وبانجاز هذه الوحدة في الربع الثاني تحقق أحد اهم الانجازات لحركة التحرر في المنطقة. واخذت منظمة التحرير تستعيد مكانتها بصورة تدريجية ولكن بثبات وتنهار في نفس الوقت أحلام قوى التآمر والعدوان في الامساك بما ظنوه في اليد.

وبصورة متزايدة اخذت فكرة البحث الجماعي عن حل لهذه البؤرة الخطرة ، عقد مؤتمر دولي بصلاحيات كاملة ، تشارك فيه الاطراف المعنية بما فيها الدول الخمس دائمة العضوية في مجلس الامن ، وبمشاركة منظمة التحرير بصفتها الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني ، على قدم المساواة مع الاطراف الاخرى ، وبرعاية الامم المتحدة، تكتسب المزيد من الانصار ، وباتت العزلة تضيق اكثر واكثر حول الاطراف المعارضة والتي سبق وان انشغلت في البحث عن ديكورات الفصل الختامي وحجم والوان المظلة.

وفوتت جماهير الارض المحتلة على الحكام العرب ، الساترين في ركب البيت الابيض وتل ابيب الاستفادة من طوق النجاه الذي غالبا ما وفرته لهم في ظروف مماثلة سابقة. وهكذا لم يستطع حكام الاردن ومصر ومن على شاكلتهم استخدام الفزاعة التي توالت شخصيات ومسؤولون واحزاب على اطلاقها من تهجير ونقل لاهالي المناطق المحتلة الى خارجها.

ولم يكد الربع الاخير من العام ٨٧ يطل حتى كان المارد الشعبي في الارض المحتلة، ليس فقط يتمكن من النهوض والوقوف على قدميه بل ويفرض حضوره ومطالبه على مؤتمر قمة عمان

Digitized by Birzeit University Library

ويمنعه وآخرين من تجاوز حقوقه ومطالبه. وقبل ختام العام كان هديره يصل اطراف المعمورة، وليس فقط يعصف ويطيح بكل ما اقنع المتآمرون انفسهم بأنه بات مضمونا وفي الجيب ، بل وهز الضمير العالمي بعنف ، وليقول انه صاحب قضية وان قضيته تتطلب حلا سياسيا عادلا يؤمن له حقوقه بما فيها حقه في تقرير المصير وقيام دولته والعيش في طمأنينة وسلام. واخذت اوساط اوسع واوسع وعلى اتساع العالم تشارك في هذه القناعة وتضغط من اجل انجازها. حتى ان اوساطا حاكمة في الغرب واقرب حليفات اسرائيل باتت هي الاخرى على مثل هذه القناعة. كما ان دائرة ،تتسع في اوساط الرأي العام الاسرائيلي وحتى بين المسؤولين ،باتت على قناعة بانها تدخل في مأزق ليس هناك ما يؤمن الخروج منه غير حل سياسي للقضية الفلسطينية غير الذي كانوا يتصورونه او يطرحونه.

لقد ودعنا العام ٨٧ ونحن اكثر ثقة بالقدرة على تحقيق الاهداف والطموحات والامال. دخلنا العام الجديد ونحن اقرب ما نكون الى تحقيق هذه الامال والاهداف. اقرب من أي وقت مضى لهدف الدولة المستقلة لتقرير المصير ولحل المشكلة من جميع جوانبها بما فيها تأمين عودة كريمة للاجئين لقراهم ومدنهم التي انتزعوا منها بالقوة الغاشمة ووفق قرارات الامم المتحدة.

لكننا لا نستهين بالصعوبات ولا ندعي أن الطريق بات ممهدا تماما وان الحفر والمطبات ردمت كلها ، لكن نهايته باتت واضحة للعيان. وللذين كانوا يبحثون عن ضوء في نهاية نفق مظلم، جاء الشعب ليقول ، مع نهاية العام ٨٧ ها هي الشمس توشك ان تشرق من وراء تل العاصور.

Digitized by Birzeit University Library

نظرة على مفكرة المناطق المحتلة

لعام ١٩٨٧

في اعنف مواجهة تشهدها المناطق الفلسطينية المحتلة ، منذ الغزو الاسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢ ، سقط برصاص الجيش الاسرائيلي والمستوطنين في الفترة الواقعة بين ١٩٨٧/١٠/١ وحتى ١٩٨٧/١٢/٣١ (٤٧) شهيدا، كما تضاربت الارقام حول عدد الجرحى حيث تراوحت بين ٢٨٠ - ٣٢٠ جريحا ، وقد تم فتح سجن الظاهرية لاستيعاب الاعداد الهائلة من المعتقلين ، وزاد عدد المعتقلين الذين زج بهم في معتقل (انصار - ٢) بغزة عن ال ٥٠٠ معتقل ، بالاضافة الى اعتقال عدد كبير في سجن (عتليت) لاول مرة ، وقد زاد عدد المعتقلين على خلفية الاحداث الاخيرة عن الالف وخمسماية معتقل حسب المصادر المختلفة .

من جهة اخرى ، كان للانتفاضة التي شهدتها الضفة الغربية وقطاع غزة ، صدى عالمي لم يسبق له مثيل ، وتعاطف دولي ابرزته وسائل الاعلام الدولية على اختلاف مواقعها ، وكان من ابراز هذه المواقف ، قرار مجلس الامن رقم (٦٠٥) الذي صدر يوم الاربعاء ٨٧/١٢/٢٣ ، باغلبية ١٤ صوتا وامتناع الولايات المتحدة عن التصويت .

وفيما يلي نص القرار :-

ان مجلس الامن ،

- وقد نظر في الرسالة المؤرخة في ١١ كانون الاول ١٩٨٧ والموجهة من الممثل الدائم لليمن الديمقراطية لدى الامم المتحدة ، بصفته رئيس المجموعة العربية لشهر كانون الاول،
- واذ يضع في اعتباره الحقوق غير القابلة للتصرف لجميع الشعوب ، المعترف بها في ميثاق الامم المتحدة والمنصوص عليها في الاعلان العالمي لحقوق الانسان ،
- واذ يشير الى قراراته ذات الصلة بالحالة في الاراضي الفلسطينية والعربية الاخرى التي تحتلها اسرائيل منذ العام ١٩٦٧ ، ومن ضمنها القدس ، بما في ذلك قراراته ٤٤٦ (١٩٧٩) و ٤٦٥(١٩٨٠) و٤٩٧ (١٩٨١) و ٥٩٢ (١٩٨٦)،

Digitized by Birzeit University Library

- واذ يضع في الاعتبار الحاجة الى النظر في اتخاذ تدابير تكفل الحماية المتجردة للسكان المدنيين الفلسطينيين الذين يعيشون تحت الاحتلال الاسرائيلي ،
- واذ يرى ان السياسات والممارسات الراهنة التي تتبعها اسرائيل ، وهي السلطة القائمة بالاحتلال، في الاراضي المحتلة لا بد وان تسفر عن عواقب وخيمة بالنسبة الى المساعي التي تبذل من اجل تحقيق سلم شامل وعادل ودائم في الشرق الاوسط :

١) يشجب بشدة ما تتبعه اسرائيل ، السلطة القائمة بالاحتلال ، من سياسات وممارسات تنتهك حقوق الانسان للشعب الفلسطيني في الاراضي المحتلة ، وبصفة خاصة قيام الجيش الاسرائيلي باطلاق النار مما ادى الى مقتل وجرح مدنيين فلسطينيين عزل ،

٢) يؤكد من جديد ان اتفاقية جنيف المتعلقة بحماية المدنيين وقت الحرب المؤرخة في ١٣ اب ١٩٤٩ تنطبق على الاراضي الفلسطينية والاراضي العربية الاخرى التي تحتلها اسرائيل منذ العام ١٩٦٧ ، بما فيها القدس ،

٤) يدعو علاوة على ذلك الى ممارسة اقصى قدر من ضبط النفس من اجل المساهمة في احلال السلم ،

٥) يؤكد الحاجة الملحة الى التوصل الى تسوية عادلة ودائمة وسلمية للنزاع العربي / الاسرائيلي ،

٦) يطلب من الامين العام ان يدرس الحالة الراهنة في الاراضي المحتلة مستخدما جميع الوسائل المتاحة له وان يقدم تقريرا في موعد لا يتجاوز ٣٠ كانون الثاني ١٩٨٨ يتضمن توصياته بشأن الطرق والوسائل الكفيلة بضمان سلامة وحماية المدنيين الفلسطينيين الذين يعيشون تحت الاحتلال الاسرائيلي ،

٧) يقرر ابقاء الحالة في الاراضي الفلسطينية والاراضي العربية الاخرى التي تحتلها اسرائيل منذ العام ١٩٦٧ ، بما في ذلك القدس ، قيد الاستعراض .

من جهة ثانية ، فقد كان لتضامن قطاعات الشعب الفلسطيني في كافة المناطق ، ووقوفهم وتلاحمهم امام عنت السلطات ، واصرارها على قمع التظاهرات بقسوة لم يسبق لها مثيل ، اكبر الاثر في زعزعة الموقف الاسرائيلي تجاه موضوعة السلام ، وحقوق الشعب العربي الفلسطيني ، والمناطق المحتلة .

وهيئة تحرير "الكاتب" ، تتقدم من اسر الشهداء البررة ، بأحر التعازي ، متمنين للجرحى كافة ، الشفاء العاجل .

قائمة باسماء الشهداء

١٩٨٧/٥/٢٦

- عوض رامز الطقطوق (٣٥ عاما) / نابلس .

١٩٨٧/٦/٥

- عزام ناجي العرندي (١٥ عاما) / نابلس .

٨٧/٦/٢٨

- علاطي محمود عطية / العبيدية.

١٩٨٧/٧/٢١

- عوض حمدان (٢٠ عاما) / كفر رمان .

١٩٨٧/١٠/١

- المهندس محمد عليان علي / غزة
- محمد عبد الرحمن ابو عيد / غزة .
- مصباح الصوري / غزة .

١٩٨٧/١٠/٦

- اشتباك مسلح بين خلية فدائية وقوة

Digitized by Birzeit University Library

اسرائيلية في الشجاعية ، استشهد : محمد الشيخ خليل / غزة ، محمد عبد الله الجمل / رفح ، فايز حماد الغرابلة/ غزة ، احمد عمر خالد / غزة .

١٩٨٧/١٠/١٢

- عناية هندي (٣٥ عاما) ، ام لثمانية اطفال / رام الله.

١٩٨٧/١٠/٢٨

- الطالب اسحق ابو سرور (٢٣ عاما) / جامعة بيت لحم .

١٩٨٧/١١/١٠

- انتصار العطار (١٦ عاما) / دير البلح .

١٩٨٧/١١/٢٤

- ام محمد - زوجة نمر محمود عيسى الطيراوي (٦٥ عاما) / بلاطة .

١٩٨٧/١٢/٩

- حاتم السيسي (١٧ عاما) / جباليا .

١٩٨٧/١٢/١٠

- ابراهيم العكليك (١٧ عاما) / نابلس .
- وحيد ابراهيم ابو سالم (١٠ اعوام) / خانيونس .

١٩٨٧/١٢/١١

- سهيلة صالح كعبي (٥٧ عاما) / بلاطة .
- سحر احمد الجرمي (١٧ عاما) / بلاطة .
- علي اسماعيل مساعد (١١عاما) / بلاطة .
- عبد الله احمد فاعور (١٤ عاما)/ بلاطة .

١٩٨٧/١٢/١٤

- حسن جرغون (٢٥ عاما) / خانيونس .

١٩٨٧/١٢/١٥

- طلال الحويحي (١٧ عاما) / بيت حانون .
- نافذ يوسف اقطيفان (١٥ عاما) / دير البلح .
- محمود سخيل (٢٢ عاما) / جباليا البلد - مستشفى الشفاء .
- خالد عماد ابو طاقية (٢٠ عاما) / غزة .
- عبد الله ابو الخصين (١٧ عاما) / خانيونس .
- نجوى حسن عبد الله المصري (١٧ عاما) / بيت حانون .

وكانت الاحداث قد بدأت منذ يوم الثلاثاء ٨٧/١٢/٨ عندما داست شاحنة اسرائيلية سيارتي بيجو غزيتين ، وقتل جراء الحادث اربعة مواطنين وهم :

- كمال قدورة حسن حمودة .
- عصام محمد حمودة .
- طالب محمد عبد الله ابو زيد .

(وجميعهم من جباليا / البلد) .

١٩٨٧/١٢/١٧

- عطوة ابو سمهدانة ، وكان ناطق اسرائيلي اعلن ان الشهيد عطوة طعن جنديا اسرائيليا ، وان دورية اسرائيلية اطلقت الرصاص عليه واصابته بجراح ، والقت القبض عليه ، الاربعاء ١٢/١٦ ، وفي اليوم التالي تسلمت عائلته جثمانه

١٩٨٧/١٢/١٨

- عبد السلام شحادة فتيحة (٣٠ عاما) / دير البلح .
- تيسير البطنيجي (٢٢ عاما) / الشجاعية .
- حسين سعادة المحسيري (٨٥ عاما) / البيرة - توفي متأثرا بالغاز في ساحة الاقصى .
- سمر المصري (١٧ عاما) / غزة ، اصيبت بالرصاص في مستشفى الشفاء .

١٩٨٧/١٢/٢١

- باسم فيصل صوافطة (١٨ عاما) / طوباس .
- نازك احمد صوافطة (٢٥ عاما) / طوباس .
- يوسف محمد عرعراوي (٢٥ عاما) / جنين .
- رائد عبد الرؤوف شحادة / مخيم الشاطىء ، توفي متأثرا بجراح اصيب بها يوم الاربعاء ١٢/٩ ، واعلن في حينه عن وفاته ، وتبين انه كان في حالة غيبوبة . واعلنت السلطات وفاته رسميا ، يوم الاثنين .

Digitized by Birzeit University Library

الكاتب

الثلاثاء ٢٢/١٢/١٩٨٧

- مهند علي حسن الغول .
- محمود راشد ابو عزيز (١٨ عاما) .

(توفيا متأثرين بجراح اصيبا بها في اليوم السابق) .

- خالد طالب شاكر حميد (١٧ عاما) / جباليا .

الاربعاء ٢٣/١٢/١٩٨٧

- يوسف محمد النجار (١٧ عاما) / جباليا ، اصيب يوم الثلاثاء برصاصة فوق القلب ونقل من مستشفى الشفاء الى مستشفى سوروكا.

في مركز "حرس الحدود" الاسرائيلي برام الله ، عقد وزير الشرطة الاسرائيلي حاييم بارليف مؤتمرا صحفيا يوم ١٦/١١/٨٧ ، اجمل فيه المعطيات التي جمعتها وزارته منذ بدء عام ١٩٨٧ وحتى ٣١/١٠/١٩٨٧ في المناطق المحتلة .

فيما يلي ملخص للمعطيات التي اعلنها بارليف في مؤتمره الصحفي :-

الاجراءات الاسرائيلية واعمال الاحتجاج المضادة	العدد خلال عام ٨٦	العدد حتى نهاية تشرين الاول ١٩٨٧
١) اعتقالات امنية.	٧١١	٩١٣
٢) هدم واغلاق منازل لاسباب امنية	٣٠	٧٢
٣) قتل من العرب.	١٣	١٤
٤) جرحى من المواطنين العرب .	٥٦	١٢٢
٥) قتل من الجنود الاسرائيليين .	١	٣
٦) جرحى من الجنود الاسرائيليين .	٣١	٥٦
٧) اعمال رشق بالحجارة .	٢٩٣	٦١٥
٨) وضع حواجز حجارة على الطرقات .	٢٢٦	٥٥
٩) رفع اعلام فلسطينية .	٥٦	١٠٤
١٠) كتابة شعارات على الجدران .	٦٨	٣٥
١١) القاء قنابل يدوية .	٧	٥

Digitized by Birzeit University Library

وثائق

نظرة على الاوضاع والخدمات الصحية في الضفة الغربية وقطاع غزة

اعداد - اتحاد لجان الاغاثة الطبية الفلسطينية

- مقدمة -

لعل السؤال الرئيسي الذي سرعان ما يصل اليه اي نقاش حول الوضع الصحي في المناطق المحتلة ، هو ، هل تحسن هذا الوضع في ظل الاحتلال ، ام ازداد سوءا؟ وما هي العوامل التي تساعد او تعيق تطور هذا الوضع الى الافضل ، وهل يمثل ذلك بحد ذاته امرا مهما بالنسبة للشعب الفلسطيني ، وبأية درجة؟

ومن جانبهم يحاول الاسرائيليون استخدام بعض المقاييس المطلقة للتدليل على تحسن الوضع الصحي ، مثل الاشارة الى الانخفاض العام في نسبة الوفيات بين الاطفال خلال العشرين عاما الاخيرة . ورغم ان بعض المقاييس العددية المطلقة الاخرى ، مثل عدد الاسرة في المستشفيات ستعطي انطباعا معاكسا للنتيجة التي يحاول الاسرائيليون الوصول لها ، فان تبسيط عملية تقييم الوضع الصحي بهذا الشكل ، والانتقائية في تناول مظاهره ، هي التاكتيك الافضل بالنسبة لهم ، وليس عن دون قصد.

وعلى الجانب الاخر ، فان بعض ردود الفعل ، من طراز التأكيد على ان الامور سارت دائما وفي كل الميادين للاسوأ ، تفتقد احيانا لمنهج التحليل العلمي ، وتمثل استجابة غير موفقة للاستفزاز الاسرائيلي.

وبتقديرنا ، فان الاجابة على هذا السؤال ، وكذلك الوصول الى تقييم عام للوضع الصحي في المناطق المحتلة ، ومن ثم الاستناد لهذا التقييم لرسم اتجاهات التطور المستقبلية ، بما في ذلك دراسة التأثير المحتمل لبعض العوامل الخارجية ، كالتمويل ، تتطلب معالجة شمولية ، مستندة الى المعرفة النظرية ، وبقدر لا يقل الى نتائج الخبرة العملية . ولعل اهم عامل منفرد ، من الناحية المنهجية ، في هذا المجال ، في الوقت الحالي على الاقل ، هو تحديد وتقويم الخصائص المميزة للوضع الصحي في المناطق المحتلة . تلك الخصائص التي ، بدون تحديدها ، يصبح تطبيق المباديء العامة للتطوير مجزوءا ، وجامدا ، وربما ضارا.

ان ما ستحاول هذه الورقة عمله ، بقدر ما سيسعفنا الوقت ، والحجم الممكن ، هو استعراض بعض المقاييس والمؤشرات الاساسية للوضع الصحي ، والقاء الضوء على الخصوصيات المميزة له ، ومن ثم ستحاول التطرق الى بعض المرتكزات التي يجب الاستناد لها في توجيه الدعم لمساندة وتطوير القطاع الصحي في المناطق المحتلة .

Digitized by Birzeit University Library

السمة المميزة الاولى :

سوء مؤشرات الوضع الصحي والتدهور النسبي في الخدمات الصحية

وسنستخدم للتدليل على ذلك ، عدة مؤشرات ، للتدليل على الوضع الصحي ، وهي :

١ - نسبة الوفيات بين الاطفال .

٢ - الوضع التغذوي وفقر الدم وانتشار الطفيليات.
٣ - امراض العيون .

كما سنستعرض نسبة الاطباء والاسرة لعدد السكان ، بالاضافة الى الميزانيات المخصصة للصحة كنماذج لفحص مستوى الخدمات الصحية.

وكما يلاحظ ، فاننا قد اخترنا فقط بعض المؤشرات ، وتركنا البعض الاخر ، مثل اوضاع المياه والسكن والمرافق الصحية وغيرها ، وذلك لان التنوع المذكور كفيل باعطاء الفكرة المطلوبة ، ولصعوبة استعراض كافة المؤشرات في ورقة محدودة الحجم ، وبسبب عدم توفر المعطيات ، حول بعض المؤشرات ، مثل عدد المرضات والعاملات الصحيات ..الخ

(أ) - نسبة الوفيات بين الاطفال :

والمقصود كما هو معروف ، نسبة الاطفال الذين يولدون احياء ويتوفون قبل اكمال العام الاول من عمرهم من بين كل الف طفل يولدون احياء في العام المحدد . وهذه النسبة تعتبر ، عالميا ، احد افضل المقاييس لتقييم الوضع الصحي في بلد ما .

وتدعي سلطات الاحتلال ، ان هذه النسبة في الضفة الغربية وغزة ، كانت خلال السنوات الاخيرة ٢٤ - ٣٠ : ١٠٠٠ ، مقابل ١٤ وفاة لكل الف طفل في اسرائيل ، وتدعي انها انخفضت في غزة الى ٣٠ : ١٠٠٠ (١).

وتعتمد السلطات في تقييمها هذا على السجلات الرسمية ، متجاهلة ان تسما كبيرا من المواليد الجدد الذين يموتون خلال الاشهر الاولى ، لا يجري تسجيلهم اصلا.

وحتى مركز الاحصاء الاسرائيلي ، لم يجرؤ على مشاركة سلطات الاحتلال الاسرائيلية تقييمها هذا واصر على ان النسبة هي ٧٠ : ١٠٠٠ (٢) للضفة الغربية وغزة .

وقد اظهرت العديد من الدراسات الميدانية التي تم اجراؤها من قبل جهات مختلفة ان الوضع الحقيقي مختلف . فقد اظهرت دراسة اجريت في قرية بدو ، قرب القدس ، وهي تعتبر من القرى المتقدمة نسبيا ان نسبة الوفيات هي ٤٩ : ١٠٠٠ (٣)

وفي دراسة اخرى اجريت في ثلاث من قرى منطقة رام الله اتضح ان النسبة كانت ٩١ : ١٠٠٠(٤)

Digitized by Birzeit University Library

وتشير التقديرات الاولية ، الى ان النسبة اعلى بكثير في مناطق الخليل والاغوار حيث قد تتراوح بين ٨٠ - ١٠٠ : ١٠٠٠ ، وذلك ينسجم مع سوء الاوضاع في هذه المناطق بالمقارنة مع مثيلها في مناطق الوسط.

واذا اخذت كل المعطيات في الاعتبار فان النسبة العامة لن تقل عما قدره مركز الاحصاء الاسرائيلي اى ٧٠ : ١٠٠٠ وستصل بالتأكيد الى ١٠٠ : ١٠٠٠ في بعض المناطق.

وما من شك في ان النسبة قد تحسنت عما كانت عليه عام ١٩٦٧ . ولكن السؤال المهم ، هل كانت ستكون بهذا الشكل لو لم يكن هناك احتلال ام افضل؟

ان التطور الذي حققه الاردن مثلا ، كان افضل من حيث التناسب مما جرى في الضفة والقطاع ، علما بان النسبة كانت تسير للانخفاض في المنطقة باسرها ، وليس للاحتلال ما يفتخر به في هذا المجال ، الا اذا كان جائزا الافتخار بان وتيرة التحسن في الضفة الغربية وقطاع غزة ، تاثرت بشكل سلبي بوجود الاحتلال.

لعل المقارنة التالية تؤكد ذلك (٥):

مقارنة لنسبة وفيات الاطفال خلال عام ١٩٨٥

البلد	نسبة وفيات الاطفال
اسرائيل	١٠٠٠:١٤
سوريا	١٠٠٠:٦٠
الاردن	١٠٠٠:٥٥
الضفة الغربية	١٠٠٠:٧٠
وقطاع غزة	

(ب) الوضع التغذوي وفقر الدم وانتشار الطفيليات بين الاطفال:

للمقاييس الثلاثة المذكورة ، اهمية كبيرة في تحديد الوضع الصحي للسكان ، وخاصة عند تفحص وضع الصحة الاولية . وتشير جميع الدراسات الميدانية التي اجريت ونشرت حتى الان الى وجود نسبة مرتفعة في سوء التغذية وفقر الدم بين الاطفال في المناطق المحتلة . وتكتسب هذه الدراسات اهمية مضاعفة في ظل عدم توفر معطيات عامة عبر المنطقة .

وقد استخدمت هذه الدراسات المقاييس المقبولة عالميا والمعتمدة من منظمة الصحة العالمية بما فيها قياس الطول ، والوزن ، ونسبة الهيموجلوبين في الدم وتجرى الحسابات باستعمال طريقة ماكليرن وريد. وقد اشارت احدى الدراسات التي اجريت في منطقة قريبة من القدس، الى ان نسبة سوء التغذية بين الاطفال تحت سن ٣ سنوات كانت ٣٤٪(١٥) ، واظهرت نفس الدراسة الى ان نسبة الاطفال الذين يولدون بوزن دون الطبيعي،تصل الى ٢٠٪، واظهرت ذات الدراسة الى ان نسبة فقر

Digitized by Birzeit University Library

الدم بين الامهات في القرية كانت ايضا ٢٠٪.

وفي دراسة اخرى اجريت في منطقة الديوك في غور الاردن (١٦) ، اتضح ان نسبة سوء التغذية بين الاطفال الاناث كانت ٥٥٪ وبين الاطفال الذكور ٣٤٪ وان نسبة فقر الدم بين الامهات كانت ٦١٪.

وتشير المعطيات الاولية لدراسة يقوم باجرائها اتحاد لجان الاغاثة الطبية الفلسطينية على الوضع التغذوي للاطفال في المناطق المحتلة ، الى ان نسبة سوء التغذية بين الاطفال في منطقة الخليل ، تصل الى ٤٠٪ . ولا يخفف من وقع هذه المشكلة بل يزيدها تعقيدا واقع ان حالات سوء التغذية هي في العادة متوسطة او خفيفة ، لان هذا الوضع يجعل المشكلة مخفية ، وبالتالي مجهولة او متجاهلة . مما ينتج وضعا ، قد لا يموت معه معظم الاطفال من سوء التغذية ، ولكنهم يصبحون فريسة سهلة لامراض متكررة ويشبون بقدرات جسدية وذهنية دون المتوسط.

وفوق ذلك ما زالت الطفيليات بين الاطفال مشكلة جدية . وقد اظهرت دراسة حكومية اجريت عام ١٩٧٦ في قطاع غزة ، الى ان ٥٠٪ من طلاب المدارس الذين فحصوا كانوا يعانون من طفيليات مختلفة (١٧). واظهرت دراسات اخرى الى ان نسبة الاصابة بالطفيليات تتراوح بين ٤٠ - ٦٠٪ في قرى مختلفة في الضفة والقطاع (١٨) . والى جانب الطفيليات تنتشر بعض الاوبئة بشكل دوري دون ان تلقى مقاومة جماعية تذكر . وتشكل بعض الامراض مثل التهاب الكبد الوباثي والحمى المالطية والتيفوئيد والتهاب السحايا مشاكل صحية جدية ، ولا توجد في الوقت الحالي لدى اي جهاز صحي خطة لحصر ومقاومة هذه الامراض . وليس هناك ما هو اكثر سذاجة من المعطيات الرسمية حول نسبة هذه الامراض ، حيث ان معظم الحالات تمر دون ان يتم تسجيلها من قبل الاجهزة الرسمية .

(ج) امراض العيون:

اشارت الدراسة ، الاولى من نوعها ، والتي اجريت من قبل اطباء ومستشفى القديس يوحنا في القدس ، على ما مجموعه ٩٥٤٨ شخصا تمت معاينتهم في الضفة والقطاع ، الى ان نسبة فاقدي البصر في كلتي العينين تصل الى ١ر٧٪ : ١٠٠ ، وهذه النسبة توازي ثمانية اضعاف مثيلتها في بريطانيا . وتصل نسبل العطل في احدى العينين الى ٨ر٦٪ من المجموعة المدروسة (١٩) . واشارت نفس الدراسة الى ان نسبة الاصابة بالتراخوما كانت ٤ر٢٨٪ من الذين تم فحصهم. ومن الواضح ان النسبة العالية للاصابة بالامراض وما ينجم من مضاعفات خطيرة عنها ، الى حد فقدان البصر ، يعود اساسا الى عدم توفر المرافق الصحية القادرة على القيام بتقديم التشخيص والعلاج المبكر.

ولا تكتمل الصورة العامة للوضع الصحي في المناطق المحتلة الا بالانطلاق من المؤشرات التي تناولناها ، الى السمات المميزة الاخرى.

(د) نسبة عدد الاطباء لعدد السكان

بلغت نسبة عدد الاطباء لعدد السكان في الضفة الغربية وقطاع غزة في عام ١٩٨٦ حوالي ٨ : ٠٠٠ر١٠ (٦) نسمة في مقابل ٢٨ : ٠٠٠ر١٠ في اسرائيل(٧)،

Digitized by Birzeit University Library

وحوالي ٢٢،٠٠٠و١٠ في الاردن . ومع ان هذه النسبة منخفضة، فانها لا تكشف سوى نصف الحقيقة . حيث ان حوالي ٢٠٠ طبيب في الضفة الغربية و ٨٠ طبيب في قطاع غزة يعانون من بطالة كاملة او جزئية . ويشمل هذا الرقم اكثر من ١٢٠ طبيبا يعملون ضمن برنامج الاستيعاب التابع لنقابة الاطباء في الضفة مقابل راتب شهري لا يتجاوز ٣٠٠ دولار ، ولم يستلموا اي راتب حتى الان مقابل عملهم خلال الاشهر الستة الاخيرة . وذلك يعني ان النسبة الحقيقية للاطباء العاملين قد لا تتجاوز ١٠،٠٠٠:٦ ، وفي قطاع غزة فان نسبة الاطباء العاملين في الجهاز الحكومي مثلا هي ١٠،٠٠٠:٤ (٨) ، مع ان السلطات الرسمية تدعي ان ٨٥٪ من السكان في القطاع يحملون بطاقة التأمين الصحي الحكومي . فماذا يعني كل ذلك ؟ لا خلاف على ان هناك احتياج شديد لاطباء اكثر ، حيث ان النقص في عددهم ، وخاصة في بعض المستشفيات الحكومية شديد للغاية ، وفي ظل وضع لا يتوفر فيه اي شكل من الخدمات الصحية الحديثة في ٢٤٨ موقع سكاني من اصل ٤٨٩ في الضفة الغربية (٩).

اما سبب ارتفاع نسبة البطالة واحجام عدد كبير من الاطباء عن البقاء في الضفة والقطاع رغم الحاجة لهم ، فيعود الى عدم وجود جهاز صحي قادر على استيعابهم ، واصرار سلطات الاحتلال على توظيف اقل عدد ممكن منهم في الاجهزة الحكومية ، وعجز وكالة الغوث الدولية ، عن توظيف اعداد تتناسب مع المهمات الملقاة على عاتقها.

وتستقبل العيادات الحكومية في قطاع غزة ، وعددها ٢٥ ، ولا يعمل في معظمها اكثر من طبيب واحد ، ما معدله ١١٠ مرضى في اليوم (١٠) . اما في عيادات وكالة الغوث الدولية في غزة فان الطبيب الواحد يعاين خلال ٤ - ٦ ساعات ما يتراوح بين ٧٠ - ١٢٠ مريضا (١١) . ولكل واحد ان يتخيل اية معاينة هذه ، حين يجبر الطبيب على التعامل مع هذه الاعداد . وليس الحال بافضل حتى في عيادات كوبات حوليم في القدس والتي تشرف عليها وزارة الصحة الاسرائيلية ، حيث يتلقى المؤمنون في مدينة القدس العلاج ، وحيث قد يتجاوز معدل استقبال المرضى اليومي لكل طبيب الخمسين مريضا.

واليوم ، في الضفة والقطاع،فان هناك اناس بحاجة للاطباء،وهناك اطباء بحاجة للعمل، ولا جسر بينهما .

(هـ) نسبة عدد الاسرة في المستشفيات لعدد السكان:

تشير الارقام الاسرائيلية الرسمية الى ان نسبة عدد الاسرة لعدد السكان في المناطق المحتلة هي ٦ر١ :١٠٠٠ نسمة ، في مقابل ١ر٦ : ١٠٠٠ في اسرائيل (١٢) غير ان الامر الاكثر اثارة ، هو تتبع ، التناسب بين نمو عدد السكان ، والتغير في عدد الاسرة ، خلال الفترة الواقعة ما بين عامي ١٩٧٤ وعام ١٩٨٥.

Digitized by Birzeit University Library

مقارنة التغير في عدد الاسرة بالنسبة لعدد السكان في الضفة الغربية
(بدون القدس)

السنة	عدد السكان	عدد الاسرة في المستشفيات	عدد الاسرة في المستشفيات الحكومية
١٩٧٤	٦٦٩ر٧٠٠	١٣٩٣	٩٩٢
١٩٨٥	٨١٣ر٤٠٠	١٣٠٨	٩٧٤

مقارنة التغير في عدد الاسرة بالنسبة لعدد السكان في قطاع غزة

السنة	عدد السكان	عدد الاسرة في المستشفيات	عدد الاسرة في المستشفيات الحكومية
١٩٧٤	٤١٤ر٠٠٠	١٠٠٤	غير معلوم
١٩٨٥	٥٢٥ر٠٠٠	٨٧٢	٨١٢

اي وبكلمات اخرى ، فقد ازداد عدد السكان في الضفة الغربية من عام ١٩٧٤ الى عام ١٩٨٥ بنسبة ٢١٪ ومقابل ذلك انخفض عدد الاسرة في المستشفيات بنسبة ٦٪ اما في قطاع غزة ، فقد ارتفع عدد السكان خلال نفس الفترة بنسبة ٢٦٪ وفي المقابل انخفض عدد الاسرة بنسبة ١٣٪ .(١٣)

واذا اخذنا مجموع السكان ومجموع عدد الاسرة ، فان التغير الذي حصل ، يكمن في ان نسبة عدد الاسرة لعدد السكان انخفض من ٢ر٢ سرير لكل ١٠٠٠ نسمة ، الى ١ر٦ سرير لكل الف نسمة . هذا هو التطور الذي شهدته المناطق المحتلة خلال اعوام الاحتلال.

(و) الميزانيات الحكومية المخصصة للصحة:

من المعروف ان السلطة الاسرائيلية المحتلة ، هي التي تقوم بجباية الضرائب من المناطق المحتلة ، كما تقوم بخصم مقتطعات كبيرة من اجور العمال العرب في اسرائيل . وتقدر المبالغ التي تجري جبايتها سنويا بعشرات الملايين من الدولارات .

Digitized by Birzeit University Library

ومن مسؤولية هذه السلطة ، حسب الاعراف الدولية ، ان تتولى الانفاق على الصحة ، والقطاعات الاخرى كالتعليم وغيره. فما الذي يشير له الواقع. تشير دراسة بنفنستي الصادرة عام ١٩٨٦ ، الى ان معدل الانفاق الحكومي بالنسبة للفرد في المجال الصحي ، لم يتجاوز في الضفة والقطاع ٣٠ دولار للفرد في العام . وذلك في مقابل ٣٥٠ دولار للفرد في اسرائيل .(١٤).

وفي عام ١٩٨٥ بلغت ميزانية المستشفيات الحكومية في الضفة الغربية ٨ ملايين دولار ذهب منها ٣ ملايين دولار للمستشفيات الاسرائيلية كثمن لعلاج المرضى العرب المؤمنين صحيا والذين حولوا من المستشفيات العربية .

وفي نفس العام بلغت ميزانية مستشفى اسرائيلي واحد ، قرب تل ابيب ، ويدعى مستشفى "اخيلوف" ، ستة اضعاف مجموع ميزانية الضفة الغربية مع ان عدد الاسرة فيه مساو لعدد الاسرة في الضفة ان لم يقل عنها.

السمة المميزة الثانية :

غياب جهاز وطني للصحة

في كل بلدان العالم ، بغض النظر عن طبيعة انظمتها، هناك قطاعات صحية ، تكون من مسؤولية الدولة ، او الجهاز الوطني للصحة . ويشمل ذلك في كثير من البلدان ، التأمين الصحي ، والتنسيق بين الاجهزة الصحية المختلفة ، والتصدي للامراض المعدية والاوبئة ، ومعالجة المشكلات البيئية والنقص في المرافق الصحية ، والتخطيط بعيد المدى لحل المشكلات الصحية ، ومحاولة تأمين نوع من التوازن في تقديم الخدمات الصحية .

ومنذ الخامس من حزيران عام ١٩٦٧ ، لم يعد هناك في المناطق المحتلة اي جهاز وطني للصحة . ولا تقوم الاجهزة التي تشرف عليها السلطة المحتلة بهذا الدور ، ولن تستطيع القيام به ، ليس فقط بسبب عدم رغبتها في توفير الميزانيات اللازمة لذلك ، بل لان بناء جهاز وطني للصحة يتعارض جذريا مع استراتيجيتها تجاه السكان في المناطق المحتلة والمعنية باضعاف لا تقوية البنية التحتية للمجتمع الفلسطيني ، وسنحاول فيما يلي ان نعدد بعض النتائج الوخيمة التي تنجم عن هذا الوضع :

أ - الاهمال الشديد لقطاع الصحة الاولية : ويتركز القسم الاعظم من الخدمات الصحية في المدن في حين يقطن ما لا يقل عن ٧٠٪ من السكان في القرى والمخيمات.

ولا يتوفر اي شكل من الخدمات الصحية في ما مجموعه ٢٤٨ من اصل ٤٨٩ موقع سكاني في الضفة الغربية (٢٠).

وتفتقر للانتظام عمليات التطعيم في القرى . ولا تتوفر في معظم المواقع مراكز للامومة والطفولة . واشارت احدى الدراسات الى ان هذه المراكز لا تتوفر سوى في ٢٩,٤٪ من المواقع السكانية في الضفة الغربية(٢١).ولا يوجد عمليا تنسيق فعلي بين العيادات الخاصة والعامة والمستشفيات . ولا يوجد في ٦٩٪ من المواقع التي يقل

Digitized by Birzeit University Library

سكانها عن ٣٠٠٠ نسمة اية خدمات صحية . ولا يوجد جهاز لمراقبة الامراض المعدية ، او لمعالجة المشاكل البيئية ، وما زال قسم كبير من السكان يشرب من مياه ملوثة وغير صالحة للشرب (٢٢).

ب - فشل نظام التأمين الصحي الحكومي:

يمثل القطاع الحكومي ، الجزء الاكبر من جهاز الصحة في الضفة والقطاع ، وخاصة على مستوى المستشفيات . وحتى عام ١٩٧٧ ، كان باستطاعة اي مواطن تلقى الخدمات في هذا القطاع مقابل رسوم رمزية . غير ان السلطات الاسرائيلية الغت هذا النظام وادخلت ما يسمى بنظام التأمين الصحي الحكومي ، الذي يحتم على الراغب في تلقي الخدمات دفع اشتراك شهري يساوي حوالي١٨ دولار.

وتشير الاحصائيات الاسرائيلية الرسمية الى ان نسبة المؤمنين في الضفة الغربية هي ٣٨٪ ، وبامكاننا القول ان هذا الرقم مبالغ فيه ، حيث يحتسب كل من سبق وان سجل نفسه في التأمين الصحي . مع العلم ان دراسة حكومية اظهرت ان ٥٥٪ فقط من المؤمنين المسجلين يدفعون الاشتراك الشهري ويتلقون الخدمات دوريا (٢٤) . وقد اظهرت دراسة بدو ان نسبة المؤمنين صحيا لا تتجاوز في القرية ٢٢٪ . ولا تتجاوز نسبة الذين يتوجهون لتلقي الخدمات الصحية الحكومية دوريا ٤٪ (٢٥) . واظهرت دراسة اخرى ان نسبة المؤمنين في قرى منطقة الخليل كانت ٦ر١٢٪ وفي منطقة رام الله ٥ر١٩٪ وفي القدس ٩ر٢٩٪ وفي اريحا ٩ر١٣٪(٢٦).

وتعترف السلطات الاسرائيلية بان نسبة المؤمنين في قطاع غزة ، انخفضت خلال الاعوام الثلاثة الاخيرة من ٨٣٪ عام ١٩٨١ الى ٥٦٪ عام ١٩٨٥ (٢٧) وهناك اجماع على ان انخفاض نسبة المؤمنين تعود اساسا الى ارتفاع رسوم التأمين وانخفاض نوعية الخدمات التي يقدمها الجهاز.

ج - انعدام التوازن في توزيع الخدمات الصحية :

ولهذه المشكلة ثلاثة ابعاد:

١ - انعدام التوازن بين الانفاق على الصحة الاولية وبين مثيله على المستشفيات ، وضعف التوازن بين العمل العلاجي والوقائي.

٢ - انعدام التوازن الجغرافي في توزيع الخدمات .

٣ - التمييز الاجتماعي في توزيع هذه الخدمات.

واذا كنا قد اشرنا بوجه عام للجانب الاول ، فمن الواجب توجيه بعض الاهتمام للجانبين الاخرين .

فمن الناحية الجغرافية ، وبالاضافة الى التمييز بين المدن من جانب والقرى والمخيمات من جانب اخر ، فان هناك تمييزا اخر ، يبدو واضحا في الضفة الغربية مثلا. حيث تتركز معظم الخدمات العلاجية في المنطقة الوسطى ، وتفتقر مناطق الشمال والجنوب لاية خدمات معقولة . وحين نتحدث عن الشمال فاننا نقصد مناطق

Digitized by Birzeit University Library

طولكرم وقلقيلية وجنين في حين يشمل الجنوب(الخليل) وما يقع جنوبها . وبينما تتركز معظم الخدمات في نابلس ورام الله والقدس وبيت لحم وتصل نسبة الاسرة لعدد السكان فيها الى ٣ر٢ : ١٠٠٠ ، فان نفس النسبة في منطقة الشمال لا تتجاوز ٥ر١ : ١٠٠٠ . وفي الخليل لا يوجد سوى مستشفى واحد (عالية) يضم مائة سرير ، ويفترض ان يقدم الخدمات لما لا يقل عن ٣٠٠ر٠٠٠ نسمة .

ان هذه المعطيات يجب ان تؤخذ في الاعتبار عند الحديث عن التطوير الصحي.

اما البعد الثالث لهذه المشكلة، والذي يجري عادة تجاهله او اغماض العين عنه، فهو التمييز الاجتماعي في توزيع الخدمات الصحية . ويشمل هذا التمييز الفئات الموجودة في اسفل السلم الاجتماعي ، والتي لا تستطيع بحكم محدودية مواردها ، الوصول للخدمات الصحية، وهو يشمل كذلك تمييزا شديدا على مستوى الجنس ، اي التمييز بين الذكور والاناث.

ولا يمكن بحال من الاحوال ، اهمال هذه الجوانب من المشكلة ، واذا كانت الخدمات الصحية ضعيفة وقليلة بشكل مطلق، فلا يجوز ان يحجب ذلك عن اعيننا ان توزيع هذه الخدمات القليلة يتم بشكل غير عادل ولا متساو. وليس المجال هنا للدخول في تفاصيل هذه المسألة ، وان كان لا بد من ايراد بعض المؤشرات التي تؤكدها .

ففي الدراسة التي اجريت في مستشفى الكاريتاس ، اتضح ان ٧٩٪ من الاطفال الذين ادخلوا المستشفى مصابين بصدمات ناجمة عن البرد ، كانوا من ابناء العمال (٢٨). وفي دراسة بدو ، اتضح ان نسبة الوفيات بين الاطفال الاناث كانت ٥٨ : ١٠٠٠ مقابل ٤١ :١٠٠٠ بين الذكور (٢٩)

وفي دراسة كوبر اتضح ان ٥٢٪ من الفتيات كن يعانين من سوء التغذية في مقابل ٣٢٪ من الفتيان - (٣٠) . وفي عين الديوك اتضح ان نسبة سوء التغذية بين الاناث كانت ٥١٪ مقابل ٣٤٪ بين الذكور . ولا يمكن اعتبار كل هذه النتائج مصادفات . واذا اخذنا في الاعتبار ان حوالي ٨٥٪ من المرضى الذين يرتادون العيادات هن من النساء والاطفال ، فان كل ذلك يؤكد ان الاولوية في التطوير الصحي يجب ان تعطى دوما للفئات الاجتماعية الاكثر فقرا والاكثر عرضة للمرض والاكثر تعرضا للتمييز.

اننا لا ننظر لهذه الارقام من زاوية اهميتها الاكاديمية ، او النظرية فقط بل باعتبارها مقاييس يجب ان تؤخذ في الاعتبار عند توجيه وتنفيذ التطوير الصحي في المناطق المحتلة .

وبكلمات اخرى فان جدية اي حديث عن التطوير الصحي ستكون مرهونة برؤية كافة ابعاد الوضع القائم ، وفي مقدمتها بالطبع وجود الاحتلال ، والاضطهاد الوطني ، غير انه والى جانب ذلك فمن الواجب فحص وتدقيق الى اية فئات اجتماعية يجري توجيه الخدمات الصحية ، وفي اية مواقع جغرافية ، وهل تأخذ هذه الخدمات في الاعتبار مصلحة الاطفال والامهات والنساء ، الذين يشكلون الجمهور الاعظم من المحتاجين للعناية الصحية. وعند استلهام مثل هذا التحليل ، ينتصب فورا التساؤل حول مدى الحكمة من انشاء ما يسمى بالمراكز الصحية في بعض المدن مثل رام الله والقدس ونابلس ، والتي لا تفعل سوى تكرار خدمات قائمة اصلا ، وتفرض رسوما ، عالية ، بالنسبة لجمهور الفقراء ، وتنحى الى تقديم خدمات متميزة لفئات معينة . ولا معنى في تقديرنا لصرف مبالغ باهظة على انشاء مستشفى متطور جديد في منطقة الوسط سيكون معنيا باعادة تقديم ما يقدمه مستشفى المقاصد الخيرية في القدس ، والذي يمكن بنفقات اقل تطوير خدماته بشكل ممتاز ، وجعله المستشفى المركزي العام للضفة والقطاع ، لا معنى لعمل ذلك في حين تنعدم الصلات الفعلية بين مراكز

Digitized by Birzeit University Library

الصحة الاولية في القرى والمخيمات وبين المستشفيات . وفي حين ما زال طبيب العائلة المعالج حتى في المدينة شبه معدوم الصلة مع المستشفيات المتطورة ، وغير قادر على متابعة الحالات التي يحولها بعد خروجها من المستشفيات .

من المؤكد ، ان هذه النشاطات التي انتقدناها تخدم مصالح البعض ، ولكنها لا تخدم ، باى حال من الاحوال ، مصالح المحتاجين للمساعدة الصحية في المناطق المحتلة .

(د) : غياب التنسيق بين الاجهزة الصحية المختلفة ، وضعف التنسيق بين محاولات التطوير الجارية .

واذا شئنا الدقة ، فان هناك خمسة قطاعات تعمل حاليا في الميدان الصحي :

١ - القطاع الحكومي ، وتشرف عليه سلطات الاحتلال.
٢ - وكالة الغوث الدولية ، (الانروا) ، وهو متخصص بتقديم الخدمات للاجئين.
٣ - القطاع الخاص.
٤ - القطاع الخيري ، يشمل مؤسسات خيرية مختلفة ، مثل مستشفى المقاصد الخيرية.
٥ - القطاع الشعبي ، الجديد نسبيا.

وفي الحالات العادية ، فان جهاز الصحة الوطني ، هو الذي يقوم بعملية التنسيق ، اما في حالة المناطق المحتلة ، فلا وجود لمثل هذا الجهاز . وفيما يتعلق بالقطاع الحكومي، فان رسم سياسته وتطوره يجري تحت رقابة مشددة واشراف خانق من جهاز الاحتلال.

وهذا القطاع ، بغض النظر عن حسن نوايا، الاطباء والموظفين العرب العاملين فيه ، وبغض النظر عن جهود بعضهم الحثيثة لتطويره ، غير قادر على القيام بدور تنسيقي لان الضباط المسؤولين عنه ، يمنعون عمليا تطوره بما يتعارض مع مصلحتهم ، ويحاولون كبت ومحاصرة النشاطات الصحية المستقلة الاخرى. والحصار الذي يعيشه الهلال الاحمر الفلسطيني في قطاع غزة ، هو خير مثال على ذلك.

ومن جانب اخر ، فان ادارة وكالة الغوث ، تعتبر اي مشاركة من المجتمع المحلي في رسم سياستها ، تدخلا في شؤونها الداخلية . وتصطدم كل محاولات التنسيق الفعلي مع اجهزتها ، بواقع ان مركز اتخاذ القرار ، موجود في الخارج ، في جنيف او فيينا ، وليس بايدي الفلسطينيين على كل حال ، ويصبح الحرص على تجنب الاصطدام. بالسلطة الرسمية من قبل هذه المؤسسة وما يماثلها ، هاجسا قويا لدرجة التشكك في كل ما هو جديد ومبدع ، ورفض كل ما لا يتطابق مع التعليمات الرسمية (Regulations) ، وفيما تبقى ، ورغم الارهاصات الممتازة لمحاولة بناء تنسيق بين النشاطات الفلسطينية ، فما زال التنسيق الشمولي معدوما وتكتسب بعض التنافسات التافهة بين مؤسسات مختلفة اشكالا مضحكة اذ تعكس عجزا مؤسفا في القدرة على التمييز بين ما هو رئيسي وثانوي ، وفي التفريق بين الخصم الرئيسي والحليف .. الخ.

ومع ذلك فان هناك محاولات جادة ، وجيدة ، لتطوير التنسيق والتعاون ، . وفي هذا الميدان فان التحدي الذي يواجه الشعب الفلسطيني ، هو في قدرته في ظل غياب جهاز وطني للصحة على ابداع اشكال تنسيق وتعاون من الاسفل ، ومن الواجب تشجيع ذلك ودعمه ، بكل الامكانيات .

وبامكاننا هنا ان نشير الى امثلة لنماذج متقدمة في التعاون بين مؤسسات مختلفة ،

Digitized by Birzeit University Library

حيث تتفاعل قدرات وخبرات مختلفة ، لتقدم نتائج متطورة نوعيا ، مثل التعاون بين لجان الاغاثة ، والبرنامج الصحي والتغذوي لاتحاد الكنائس العالمي في الضفة الغربية وقطاع غزة . والتعاون بين لجان الاغاثة وقسم صحة المجتمع في جامعة بيرزيت ، والذي انتج ، ضمن ما انتجه ، نماذج جديدة للابحاث الموجهة لخدمة التطوير العملي للخدمات الصحية ، ومواداً للتثقيف الصحي ، ربما كانت الاولى من نوعها باللغة العربية من حيث المستوى والقدرة على التعامل مع المشكلات المحددة للواقع الصحي . والتعاون القائم بين الهلال الاحمر والجمعية الطبية العربية وبنك الدم واتحاد الكنائس في الشرق الاوسط ولجنة الاغاثة الطبية في قطاع غزة . ان هذه تمثل انوية ايجابية يمكن تطويرها بنجاح في المستقبل.

السمة المميزة الثالثة :

ازدواجية المشكلات الصحية

من الاخطاء الشائعة ، التعامل مع المناطق المحتلة ، بمقاييس كلاسيكية مماثلة لمقاييس البلدان النامية ، او (العالم الثالث) كما يقال . وذلك امر مجانب للدقة . وقد كان اتحاد لجان الاغاثة الطبية الفلسطينية ، او من لاحظ السمة المميزة لازدواجية الامراض المنتشرة في المناطق المحتلة . ففي حين ما زلنا نعاني من مشكلات هي تقليديا من سمات البلدان غير المتطورة ، كاستمرار انتشار الامراض المعدية ، وارتفاع نسبة الوفيات بين الاطفال ، وفقر الدم وسوء التغذية ، وسوء المرافق الصحية ، فان هناك تصاعدا سريعا في نسبة الاصابة بما يسمى بالامراض الحديثة ، مثل امراض القلب والضغط والسرطان ، والمشكلات النفسية وغيرها ،

واذا كان ٦٠ ـ ٨٠٪ من مرضى العيادات ، يعالجون لاصابتهم بامراض معدية ، واذا كانت ٧٤٪ من الوفيات بين الاطفال حديثي الولادة تنجم عن امراض معدية ، فان القاتل رقم واحد بين الكبار الان ، هي امراض القلب . وهناك ارتفاع متواصل في عدد حالات السرطان ، ومرض الضغط وغيرها .

وقد اظهرت حدى الدراسات في احدى القرى ان ٤٧٪ من العائلات ، يوجد لدى احد افرادها على الاقل مرض مزمن . ومن بين هؤلاء ، كانت ١٥٪ من العائلات ، لديها على الاقل مريض بالضغط ، ١٠٪ مريض بالسكري و ٧٪ الربو ، و ٧٪ مشاكل نفسية . (٢٣).

ان اسباب هذه الظاهرة ، هي متعددة بالتأكيد ، ولعل من بينها ، طبيعة التغيرات الاقتصادية والاجتماعية التي شهدتها المناطق المحتلة ، ومن بينها محاولات الالحاق الاقتصادي باسرائيل . والاحتكاك باساليب الانتاج الرأسمالية المتطورة في اسرائيل ، وتحويل الضفة والقطاع الى سوق للمنتجات الغذائية المعلبة والجاهزة ، وحلول اساليب الزراعة الحديثة في كثير من الميادين ، وخاصة زراعة الخضروات محل القديمة ، بما يعنيه ذلك من استعمال واسع للمبيدات والكيماويات والهرمونات دون مراقبة او اشراف . هذا بالاضافة الى عوامل الضغط النفسي (Stress) التي رافقت وترافق وجود الاحتلال والحروب والاضطهاد والسجن والقمع المتواصل طوال ٢٠ عاما من الاحتلال. وليست دون اهمية ، الاشارة هنا الى ان ٢٥٠ر٠٠٠ فلسطيني دخلوا سجون الاحتلال خلال هذه الفترة . ومن الطبيعي ان ذلك قد ترك اثره عليهم.

غير ان ذلك لا يعني ، كما يعتقد بعض رجال التنمية الكلاسيكيين ، ان المناطق

Digitized by Birzeit University Library

المحتلة بحاجة اقل للتطوير الصحي . بل وعلى العكس من ذلك ، فانه يعني ان الاحتياجات هنا اعلى من اماكن اخرى. ولذلك فمن الضروري تأمين خدمات صحية على المستوى الوقائي والاولى وكذلك على المستوى الثاني ، اي في المستشفيات ولذلك فمن المهم مثلا تأمين برنامج للامومة والطفولة ، وكذلك برنامج لمرضى السكري في بلد يفتقد حتى الان ولو لعيادة متخصصة لمتابعة وارشاد مرضى السكري.

ومن ناحية اخرى ، فان ازدواجية الامراض والمشكلات الصحية ، ونشوء احتياجات اعلى للتعامل مع "الامراض الحديثة" في ظل عدم حل المشكلات الاولية بعد ، مثل المجاري والمياه في معظم القرى والمخيمات ، تسبب تعقيدا شديدا للمشكلة الصحية وتستطلب اساليب ثلاثة قادرة على ابداع نماذج وحلول تتعامل في نفس الوقت مع جانبي المشكلة الصحية ، سواء دار الحديث عن مركز للرعاية الصحية في احدى قرى الاغوار ، او عن تطوير خدمات مستشفى في القدس.

واحد الامثلة على التعامل مع هذا الواقع ، هي قضية الكادر البشري الذي يجب ان يقدم الخدمات الصحية . وهنا فان المقاييس الجاهزة والمستوردة لا تصلح .

وسنتعرض لمثل واحد على ذلك. من يجب ان يقدم الخدمات في القرية؟ هناك كتاب لديفيد وارنر،عنوانه حيث لا يوجد طبيب، عكس تجربة ناجحة في بلدان امريكا اللاتينية ، وقد جرت في بلادنا محاولات عشوائية لتطبيقه، دون جدوى. والمعضلة هنا كانت محاولة خلق عاملين صحيين يعملون بمعزل كامل عن مجمل الجهاز الصحي .

وفي المقابل فان انفاق حوالي ١٠٠ - ١٥٠ الف دولار للشخص الواحد، لاعداد اخصائيين بدرجات عالية ، ينتهي الامر بقسم منهم للعمل خارج البلاد ، يثير التساؤل حول مدى الحكمة من مثل هذه البرامج؟ ويصبح من الواجب ان نتساءل:هل يجب ان يبقى البورد الاميركي وعضوية الجمعية الملكية البريطانية هي مقاييسنا الوحيدة لتقييم الاختصاص؟ وفي ظل توفر بعض الاختصاصيين المخلصين والمتازين في عملهم محليا ، فان الواجب الملح يقتضي تطوير قدرة بعض المؤسسات مثل المقاصد على تدريب اخصائيين محليين ، ضمن برامج تأخذ في الاعتبار المشكلات المحلية المحددة وتركز عليها .

هذا ما جرى ويجري في كثير من بلدان العالم التي حرصت على تطوير جهازها الوطني الصحي ، وهذا ما يجب ان يجري في بلادنا.

وفي الحالتين كان هناك جنوح شديد عن التعامل مع احتياجات الواقع .وفي جامعة محلية مثلا جرت تجربة لاعداد عاملين صحيين بدرجة بكالوريوس ، ثم اغلق الفرع لان ايا منهم لم يجد عملا بعد تخرجه . وفي المناطق المحتلة عدة كليات للتمريض ، تعد ممرضات بدرجة عالية ، بكالوريوس ،للعمل في المستشفيات ، وينتهي الامر بقسم كبير منهن للسفر للخارج ، في حين لا يوجد برنامج واحد لتعليم عاملات صحيات للعمل في القرى، سوى برنامج متواضع لدى لجان الاغاثة الطبية.

Digitized by Birzeit University Library

السمة المميزة الرابعة :

محاولات الالحاق الصحي

ان السمة الاخيرة ، التي لا يمكن بدون فهمها ادراك وضع الصحة والخدمات الصحية في المناطق المحتلة ، هي المحاولات المستمرة ، لالحاق جهاز الخدمات الصحية بالاجهزة الاسرائيلية وجعلها تابعة للاخيرة ومعتمدة كليا عليها .

وفي هذا الاطار يحتدم تناقض شديد بين عدم رغبة سلطات الاحتلال في تقدم الوضع الصحي ليتشابه مع مثيله في اسرائيل ، لتناقض ذلك مع استراتيجية اسرائيل نفسها ، وبين رغبتها في الحاق جهاز الخدمات الصحية ، في المناطق المحتلة ، مثل كل جهاز اخر بالاجهزة الاسرائيلية.

ولسنا هنا بصدد استعراض كافة مظاهر هذا الالحاق ، مثل اغلاق المستشفيات ووضع العراقيل باستمرار في طريق تطور الاجهزة الصحية العربية ، فقد جرى التعرض لذلك مرارا ، ولكننا نود لفت النظر لظاهرة اكثر خطورة تنسجم مع مجمل تطور السياسة الاسرائيلية في المناطق المحتلة ،وهي تحديدا الانتقال من مرحلة جذب المرضى العرب للمستشفيات الاسرائيلية الى مرحلة محاولة خلق اجهزة خاصة بالعرب من الدرجة الثانية من حيث المستوى .

وفي تقديرنا ففي السنوات الخمس عشرة الاولى للاحتلال ، كان الهدف الرئيسي ضرب البنية الاساسية للخدمات الصحية ، ونسج اوسع قدر ممكن من العلاقات معها ، لافقادها استقلاليتها وجعلها تابعة . غير انه ومع تحقق قسم كبير من هذا الهدف ، ومع تعاظم اعتقاد السلطات المسؤولة بان بقاء الضفة والقطاع تحت السيطرة الاسرائيلية امر محسوم ، ومع ازدياد حدة التناقض بين الرغبة في ضم الارض ، وعدم الرغبة في ضم سكانها ، اخذ يتعزز اتجاه اخر ، اخذ تجلياته في السنتين الاخيرتين . ومفاده ، انه في الوقت الذي تصر فيه السلطات على الاحتفاظ بالرقابة التامة على كل ما يجري ، فانها صارت معنية بالحد من سيل المرضى العرب الذين يتدفقون على المستشفيات الاسرائيلية ، الامر الذي لا يمكن تجنبه في ظل الاستمرار في سياسة الالحاق الكامل.

ولذلك ظهر الميل المتزايد لانشاء خدمات خاصة بالعرب في المستشفيات الحكومية حتى على مستوى القدس نفسها . ويمكن الاعتقاد ان ذلك هو السبب وراء الميل المتزايد لجعل مستشفى هداسا في جبل الزيتون في القدس مثلا متخصص بالعرب مقابل مستشفى هداسا عين كارم الاكبر والاكثر تطورا للاسرائيليين .

ولذلك كان الحماس الاخير لانشاء فروع مثل جهاز لمرض السرطان ، في مستشفى بيت جالا . دون دراسة وافية ، ودون توفير القاعدة الاساسية لهذه الخدمات المتطورة

ولا يمكن لنا ان نفهم لماذا يجوز تدريب اطباء عرب في مستشفيات اسرائيلية، باموال مؤسسة الامم المتحدة للتنمية ،واعطاؤهم نصف تخصص ، ثم السماح لهم بالعمل كاخصائيين في المستشفيات العربية.

وليس موضوع النقاش هنا درجة الاختصاص ، بل الفلسفة المخيفة وراء ما يجري ،

Digitized by Birzeit University Library

والتي تعني، أن الاسرائيليين بحاجة الى اخصائيين كاملين ، اما العرب فيكفيهم نصف اخصائيين.

وذلك يعني بكلمات اخرى ، انه ما دام الحاق الضفة والقطاع يفترض الحاق الخدمات الصحية فيها ، فلا بأس من تطوير جهاز من الدرجة الثانية للعرب لابعادهم عن جهاز الدرجة الاولى لدى الاسرائيليين ، والادعاء في نفس الوقت ان السلطات طورت الوضع الصحي في المناطق المحتلة.

انه شكل عنصري اخر من اشكال التكيف مع التناقض المزمن ، بين الرغبة في الاحتفاظ بأراضي الضفة الغربية وقطاع غزة وعدم الرغبة في سكانها.

بصدد موضوعة تحسن الاحوال الصحية

تحت الاحتلال

ولربما كان من الواجب ، وقبل الخوض في الاستنتاجات المتعلقة ، بمرتكزات التطوير الصحي في المناطق المحتلة ودور المؤسسات غير الحكومية فيها ، العودة للسؤال الذي طرحناه في بداية هذه الورقة ، ومعالجة بعض جوانب الادعاء القائل بان الوضع الصحي قد تحسن في ظل الاحتلال ، بسبب الاحتلال؟

ان المؤشرات العامة التي قدمناها ، كافية في تقديرنا للتدليل على هشاشة مثل هذا الادعاء ، ومع ذلك ، فمن المهم التطرق ايضا ، لبعض الجوانب الاخرى :

١ - ان المقارنات التي تقدمها السلطات الاسرائيلية ، هي في غالب الاحيان مقارنات غير ملائمة لانها تتجاهل خصوصية الوضع في المناطق المحتلة .

٢ - ان مقارنات السلطات الاسرائيلية تخلط بين الخدمات الصحية والاوضاع الصحية ، محاولة الايحاء بانه اذا تحسن احدها ، فان الاخر سيتبعه بالتأكيد ، وواقع الحال ان الخدمات الصحية والاوضاع الصحية هما ظاهرتان مختلفتان وان كانتا متداخلتين بهذا الشكل او ذلك . وبكلمات اخرى فان الوضع الصحي قد يتحسن احيانا نتيجة عوامل لا علاقة لها بالخدمات الصحية .. الخ.

٣ - ان الحديث عن مستوى التطور الذي وصلته بعض الخدمات بشكل انتقائي يتجاهل نقطتين :

أ - ان تقدير التقدم او التأخر يجب ان يجرى بشكل شمولي ، وان ياخذ كل المؤشرات.

ب - لتقرير دور الاحتلال فيما جرى ، من الواجب مقارنة الاوضاع الحالية ليس كما كانت عليه عام ١٩٦٧ ، بل بما كان من الممكن ان تكون عليه لو استمر تطوير الوضع في الضفة والقطاع بدون الاحتلال . وفي هذا المجال فان سلطات الاحتلال تنسب لنفسها نتائج بعض التأثيرات التي لم تكن مسؤولة عنها ، بل وربما كانت قد حاولت مقاومتها، مثل محاولات التطوير التي جرت من الخارج. ولهذا، فان المقياس الادق هو مثلا مدى التقدم الذي حققته خدمات صحية في بلدان اخرى مثل الاردن والكويت ،

Digitized by Birzeit University Library

مع ما جرى في المناطق المحتلة اي مقارنة وتيرة التطور وليس الارقام المجردة.

ان كثيرا مما انجز من تحسن ، او تخفيف لتدهور الاوضاع ، جرى بجهود ابناء الشعب الفلسطيني ، وفي كثير من الاحيان على عكس رغبة الاحتلال .

واذ تحدثنا عن خدمات المستشفيات ، فان ما انجزه مستشفى المقاصد مثلا ، لا يحسب باي حال لصالح الاحتلال الذي حاول مصادرة هذا المستشفى عام ١٩٦٧ . وفي قطاع الصحة الاولية ، فان نشاط المؤسسات الخيرية والوطنية والمبادرات الشعبية قد

اعطى هو الاخر الكثير من المردود ، وقد ارتدى طابع مقاومة مخططات الاحتلال ، وتم بصعوبات ومعاناة وتضحية ، وباستطاعتنا ان نحاجج ان ما انجز كان من الممكن ان يكون مضاعفا لولا مضايقات الاحتلال . فباي حق يجوز هنا لسلطات كانت تحاول اعاقة التطور الجاري ، ان تنسب لنفسها ولو بعض نتائجه ؟

وفي رأينا فان مقياس التقدم او التأخر ، لم يكن يوما ، ولن يكون ، بالنسبة لشعب يرزح تحت الاحتلال ، ويتطلع للتحرر منه ، هو فقط زيادة عشرة اسرة هنا او هناك ، او حتى فتح عيادة هنا او هناك. انه من جانب مدى تنمية قدرة هذا الشعب على بناء جهازه الشمولي المتكامل ، والمستقل ، والقادر على التعامل مع احتياجاته وتطلعاته . وبغير ذلك فان تناول المشكلة يكون سطحيا - اذا لم نقل مغرضا . وهو من جانب اخر ، مدى قدرة القطاعات الصحية القائمة على دعم بقاء وتطور ابناء المناطق المحتلة ، بافضل صورة ممكنة ، ومساعدتهم على الحياة والعمل والنشاط بفعالية في وطنهم ، وبالتالي مساعدتهم على افشال محاولات ترحيلهم عنه. وهو ثالثا في مدى قدرة الاجهزة الصحية على تقديم الخدمات للفئات الاكثر احتياجا . وهي غالبا الفئات التي ستلعب الدور الحاسم في تقرير مصير الشعب الفلسطيني في المناطق المحتلة.

اية مبادىء يجب الاسترشاد بها

في توجيه الدعم للتطوير الصحي

ان اي حديث عن تطوير او مساندة الصحة في المناطق المحتلة ، مثل اي حديث عن اي دعم لها ، يجب في تقديرنا ، واستنادا الى معطيات عشرين عاما من الاحتلال ان يعتمد مجموعة من المباديء الاساسية :

١) دعم المؤسسات الفلسطينية المستقلة ، ورفض الاشراف الاسرائيلي على توجيهه.
٢) عدم السماح بوضع اية شروط للمساعدات المالية او غير المالية .
٣) التجاوب مع سلم الاولويات الذي تحدده السمات الخاصة بالوضع الصحي في المناطق المحتلة.
٤) دعم المشاريع العامة وليس الفردية.
٥) تشجيع التعاون والتنسيق بين المؤسسات المختلفة ، وتجنب كل ما يمكن ان يثير او يفرز الانقسام او التنافس فيما بينها.

Digitized by Birzeit University Library

ان هذه المباديء الخمسة ، تنسجم في تقديرنا ، مع الاجماع الذي تكون في المناطق المحتلة ، حول التعامل مع مؤسسات التمويل الاجنبية ، والذي تبلور بشكل خاص في الندوة التي عقدت بمبادرة من الملتقى الفكري العربي بالقدس في ايلول عام ١٩٨٦ ، والتي شاركت فيها غالبية المؤسسات الوطنية العاملة في المناطق المحتلة .

(١) وفيما يتعلق بالمبدأ الاول، ، فان الحديث عن دعم الاماني العادلة للشعب الفلسطيني يجب ان يتجسد في التطبيق ، في توجيه المساندة للبنى الفلسطينية المستقلة عن الاشراف والتوجيه الاسرائيلي والتي تكون جزءا من البنية التحتية المستقلة للشعب الفلسطيني . وبغير ذلك ، فان اعتماد التبريرات العملية ، فقط ، يمكن ان يقود لوضع ، تصبح فيه المساعدات المقدمة لمساعدة الشعب الفلسطيني ، بكل نية حسنة ، مستخدمة من قبل السلطات لدعم سياستها الخاصة .

وبدون ذلك ، فان التساؤل سيثور حتما ، حول اية اهداف تخدمها المساعدات المرسلة ، خصوصا مع المحاولات المتواصلة من قبل سلطات الاحتلال القاء جزء اكبر من مسؤولياتها على كاهل برامج المساعدات الخارجية.

ولكي تكون الفكرة واضحة فان هناك ثلاثة نماذج نود التطرق لها ، وهي كفيلة باعطاء صورة عما يجري. برنامج مكتب التعاون لمنظمة الصحة العالمية في الضفة الغربية (WHO) وبرنامج الامم المتحدة الانمائي وبرنامج اليونيسيف (UNICEF) وكما نعتقد فان هذه المنظمات بدأت العمل في المناطق المحتلة تحت شعار تقديم المساعدة للفلسطينيين ، ونتيجة محاولات صادقة عديدة جرت لتشجيعها على عمل ذلك . غير ان تنفيذ هذه البرامج عبر القنوات الرسمية ، جعلها تخضع بصورة او باخرى للاشراف والتوجيه الاسرائيلي ، وفي هذا المجال فان السلطة تحسن استخدام جهاز الصحة الحكومي لتمرير ذلك.

ولا يقتصر الامر في بعض هذه المراكز على الاشراف الشكلي ، ومشاركة ضباط الادارة المدنية في اللجان المشرفة على هذه المراكز ، بل يمتد من مراقبة دوام الموظفين الى التدخل في الجوانب المهنية للعمل ، بما يخدم اهداف السلطة المحتلة.

فمثلا ، قام الفريق الفلسطيني العامل في هذا المركز ، باعداد دراسة حول نسبة الوفيات بين الاطفال في محافظة الخليل ، وكانت النتيجة ان النسبة هي ٦٠ : ١٠٠٠ ، وعندما قدمت النتائج لوضعها في تقرير المكتب السنوي المقدم لمنظمة الصحة العالمية ، اعترض المسؤولون الاسرائيليون في بيت ايل ، وطالبوا بتغيير هذه النسبة لتتناسب مع تقديراتهم الخاصة. وعندما رفض الموظفون ارتكاب هذه المخالفة لتقاليد الامانة العلمية ، حذفت المعلومة كليا من التقرير . اما التقرير العام الذي اعده المكتب عام ١٩٨٦ ، فقد ارسل للسلطات المسؤولة للمراقبة قبل ارساله لجنيف ، وهناك اشارات شبه مؤكدة على ان كثير من المعلومات قد غيرت فيه.

اما برنامج الامم المتحدة الانمائي (UNDP) فقد قام بتمويل الدراسة التخصصية لاحدى وعشرين طبيبا من الاطباء الفلسطينيين العاملين في المستشفيات الحكومية ، ليتدربوا في المستشفيات الاسرائيلية . والغريب ان هؤلاء الاطباء قد تلقوا

Digitized by Birzeit University Library

، كما اشرنا سابقا اختصاصا غير كامل ، ومختلف عن برنامج الاختصاص الذي يتلقاه الاطباء الاسرائيليون ، اضافة الى ان السلطات الاسرائيلية تنسب لنفسها فضل تدريبهم في كل مناسبة ، متجاهلة ، ان المستشفيات الاسرائيلية قد تلقت اجرتها عن ذلك . ولاعطاء صورة عما يعني ذلك يكفي ان نشير الى ان برنامج تعليم اللغة العبرية فقط لهؤلاء الاطباء قد كلف (UNDP) ٥١،٠٠٠ دولار.

والسؤال ، هو لماذا يجري التدريب بالاساس في المستشفيات الاسرائيلية ، ولماذا يجب ان يتم باللغة العبرية ؟ ولو قبلنا ذلك ، فلماذا لا يعطون تخصصا كاملا ، وما الذي يضمن ان هذا البرنامج لا يستخدم عمليا ، وهو يستخدم ، لتعزيز الالحاق بالاجهزة الصحية الاسرائيلية ؟

اما النموذج الثالث ، فيتعلق ببرنامج اليونسيف لانشاء مراكز صحية في قرى الخليل وتدريب عاملات صحيات للعمل فيها . ان الفكرة بحد ذاتها ممتازة ، وتنسجم مع احتياجات التطوير الصحي . غير ان البرنامج وضع بكامله تحت اشراف جهاز الصحة الحكومي في محافظة الخليل ، الذي يعاني مهنيا من نواقص شديدة ، ليس اقلها اهمية عدم توفر الكوادر .

وقد كانت النتيجة نشوء تساؤلات جدية حول مستوى التدريب الذي تلقته العاملات الصحيات . وبامكان اي مراقب محايد ان يكتشف من خلال زيارة المراكز الخمس والعشرين العاملة حاليا ، مدى التدهور الذي وصل له هذا البرنامج . فبعض المراكز مغلقة بشكل دائم ، وقسم منها يعمل بشكل متقطع ، وفي بعضها لا تتوفر حتى المياه الجارية ، وفي معظم الحالات ، لا تقوم العاملات الصحيات بتنفيذ البرامج الموكلة اليهن.

اليس من حقنا ان نتساءل ، لماذا ؟ لماذا تهدر كل هذه الاموال وكل هذه البرامج ، اذا كان من المعروف ان نتائجها ستكون بائسة ؟ قد نقبل كذلك ، انتقادا يقول ، بان معلوماتنا غير كاملة عن هذه المراكز ، مثلا ، ولكننا نطالب ، وهذا حقنا بتشكيل لجنة محايدة ، تأتي للمناطق المحتلة ، وتفحص هذه البرامج الثلاثة ، وتفحص مدى استقلاليتها وقدرتها على العمل على الاقل بشكل محايد . واذا كان هناك اشراف فعلي ، على المراكز المذكورة من قبل السلطة الاسرائيلية ، فما الذي يضمن موقفا محايدا على الاقل عندما يكون هناك تناقض بين مصلحة السكان والسلطة القائمة ؟!

(٢) التجاوب مع سلم الاولويات ، والتي ، يمكن تحديدها على الوجه التالي:

أ) التركيز على تطوير الصحة الاولية وبرامج الصحة الوقائية الاجتماعية . وحتى الان فان القسم الاعظم ، من مساعدات التطوير ينصب على المستشفيات والخدمات العلاجية التابعة لها . وفي المقابل فان هناك اهمالا شديدا لبرامج الصحة الاولية . وشبه غياب لبرامج الصحة الوقائية والاجتماعية.

ب) اعطاء الاولوية للفئات المحرومة اجتماعيا . وذلك يعني ، في مفهومنا ، ان برامج الصحة يجب ان تعنى بتقديم الخدمات للفقراء اولا ، وللنساء والاطفال بشكل خاص . وانها يجب ان توجه قبل كل شيء ، للفئات المسحوقة اجتماعيا .

ولتأمين ذلك ، يجب مرة والى الابد ، حسم قضية ، ان المشاريع الصحية لا يمكن ان تكون مصدرا للربح والاثراء . وان وصولها لكل الناس يعني ان اسعار الخدمات يجب ان تكون مخفضة مع محاولة تطوير اعتمادها على الذات لاقصى حد ممكن .

Digitized by Birzeit University Library

ج) اعطاء الاولوية جغرافيا للمناطق المحرومة ، وذلك يعني المناطق الريفية والمخيمات ، ومناطق الشمال والجنوب في الضفة وقطاع غزة .

د) التركيز ليس فقط على الجوانب الكمية ، بل وكذلك على الجوانب النوعية ، وعلى كمال البعد المهني للعمل ، وهذه امانة لا يجوز التلاعب فيها ، لان اي تلاعب يعني الحاق الضرر بمصالح السكان .

ولضمان حسن عمل النشاطات الصحية ، فانها يجب ان تكون مستقرة ، ومضمونة لسنوات طويلة ، وان تكون متكاملة مع جوانب حياة المجتمع الاخرى. وما نحلم به حقا ، ان نرى مشاريع للصحة الاولية تتطور باستمرار لتعنى ليس فقط بعلاج المرض ، وليس فقط بالارشاد الصحي ومشاكل المجاري والبيئة ، والتطعيم والحملات الوقائية ضد الامراض ، بل اكثر من ذلك تمتد بعلاقاتها واهتمامها الى مختلف جوانب الحياة الاجتماعية والثقافية للسكان . وان تصبح هذه المراكز معنية بمحو الامية ، وتدريب النساء على اتقان مهن معينة ، وببرامج الصحة المدرسية للاطفال ، وبالوضع التغذوي للحضانات والروضات . اي ان تكون جزءا من شيء متكامل للمجتمع باسره في كل بقعة معينة. ان الصحة ليست اختفاء المرض ، بل توفر الظروف الاقتصادية والاجتماعية والبيئية التي تضمن للانسان حياة نشطة وسعيدة.

(٣) اعطاء الاولوية للمجتمع المحلي في تحديد الاحتياجات

ان مصالح المجتمع المحلي ، يجب ان تقدم دائما على اولويات مؤسسات التنمية الخارجية . وذلك لا يحدث دائما . لقد شهدنا خلال السنوات الاخيرة تدفقا لعشرات المؤسسات ، التي تملك الكثير من المال ، والتي تندفع لتنفيذ مشاريع تنسجم مع تصوراتها الخاصة ، دون اعتبار كامل لخصائص المجتمع المحلي واحتياجاته . ولان قدرة بعض المؤسسات المحلية ، على مقاومة عروض المساعدات الخارجية ، تكون احيانا محدودة ، فان النتيجة ، كما نراها، تحول في سياسة بعض المؤسسات المحلية ، لتنسجم مع ما يرضي ويعجب الممولين من الخارج . ان ذلك يجري طبعا ببطء وبتغييرات صغيرة ، ومع ذلك فنهايته غالبا ما تكون محزنة ، حيث ان اهتمام المسؤولين عن بعض المؤسسات يصبح مع الوقت منصبا على مصادر التمويل اكثر منه على حاجات مؤسساتهم الخاصة . ونحن نفهم ان الكثير من ذلك كله يجري بحسن نوايا، ومع ذلك فانه ينتج تشوه البرامج المحلية التي تفقد قدرتها على تنفيذ ما تصبو اليه.

ولا نود القول هنا ، ان من الواجب معارضة كل رأي خارجي او رفضه . بل نقول ان هناك خطورة في حوار يجري بين ممَوّل غير واع للظروف المحلية القائم وممول يعاني بشدة من نقص في المال.

ولذلك فان هناك حاجة لنموذج مختلف ، نموذج يجسد المشاركة فعلا لا قولا. ولعلاقات يكون معها التمويل الخارجي مقرونا باستعداد جدي لتفهم الظروف والاحتياجات المحلية ، ومستندا لحوار جدي ، ليس فقط حول عمل المؤسسات المحلية ، بل ايضا حول المؤسسات الممولة . وعند نشوء تناقض او اختلاف ، وذلك يحدث وسيحدث ، فان المبدأ الذي لا حياد عنه ، يجب ان يكون الاولوية لما يراه المجتمع المحلي والمؤسسة المحلية .

وليس هذا الامر مستحيل التطبيق . ان هناك نماذج لمؤسسات اجنبية مثل اكسفام و نوفيب وسيدا وغيرها ، كانت قادرة على التفاعل مع المجتمع المحلي الى درجة ، يمكن

Digitized by Birzeit University Library

معها القول، ان هناك نموذجا جديدا لعلاقات مشاركة وتكافؤ حقيقية، بينها وبين بعض المؤسسات المحلية.

(٤) دعم المشاريع العامة وليس الفردية:

وهذا المبدأ ليس صحيحا من زاوية العدالة الاجتماعية فقط ، بل ايضا لان التجربة العملية قد اثبتت ان قدرة المشاريع الفردية على الصمود في وجه المنافسة الاسرائيلية محدودة . وما نشهده حاليا هو تقهقر متواصل لقطاع الطب الخاص في المناطق المحتلة ، لصالح الخدمات الاسرائيلية في ظل التطور العالي للتكنولوجيا الطبية الحديثة وارتفاع تكاليفها .

ومن جانب اخر، فان المشاريع الفردية والخاصة ، لا تستطيع ولا ترغب ، في اعطاء اهتمام للاحتياجات الواسعة للسكان كبرامج الصحة الاولية مثلا . ولعل من المؤسف انه في الوقت الذي يعاني فيه السكان من نقص شديد في عدد اسرة المستشفيات ، فان نسبة الاشغال في بعض المستشفيات الخاصة التي تتقاضى رسوما عالية ،لا تتجاوز ٣٠٪ .

غير ان الامر اعمق من ذلك . فاذا كان هناك اخلاص لموضوعة مساندة اكبر عدد من السكان في المناطق المحتلة ، فمن الواجب ايضا تفحص بعض المشاريع التي ترتدي طابعا عاما ، مع انها من حيث مركز اتخاذ القرار ، وتوجيه العمل تخضع لهيمنة فردية . ومن حقنا هنا ان نتساءل ، هل يجوز توجيه اموال مخصصة للتنمية ، لزيادة اثراء افراد ، او لبناء نفوذ شخصي لافراد ، ولا فرق في رأينا بين الاثنين ، اذ يقود ذلك عمليا الى الافساد !!

(٥) تشجيع التعاون والتنسيق بين المؤسسات المحلية:

لعل اكثر ما يحتاجه ابناء المناطق المحتلة ، هو التعاون والتكافل . وما من فترة كانوا فيها بحاجة لهذا التعاون اكثر من الان . التعاون البناء ، والتعهد على ابداع نشاطات يكمل ، بعضها الاخر ، لا تنافس وتوازي بعضها . والحاجة لذلك لا تنبع من النوايا الحسنة فقط ، بل تمثل شرطا حيويا للبقاء والصمود ، واجتياز التحديات التي تواجههم.

ان ضيق الافق ، وضيق المصالح الفئوية الخاصة يقود احيانا لاوضاع مختلفة .. ولذلك كان التركيز على تشجيع التعاون بين المؤسسات المختلفة ، ذو اهمية مبدأية في هذه المرحلة .

واذا كانت الاطراف العاملة في الصحة مخلصة للاحتياجات الصحية ، فان ذلك يجب ان ينعكس في التطبيق . وهذا يجب ان يكون في مركز اهتمام الجميع،تشجيع التعاون لا التنافس والنشاطات الموازية .

وبدون الوصول الى مستوى عال من وحدة الجهود والنشاطات الصحية ، فان المجتمع الفلسطيني تحت الاحتلال ، سيواصل المعاناة من تدهور في الوضع الصحي.

Digitized by Birzeit University Library

المراجـــع

١) تولشنسكي - ت . ه - الخدمات الصحية في قطاع غزة - حول العالم - مجلة لانست - عدد ٢١ شباط / ١٩٨٧.

٢) وزارة الصحة الاسرائيلية - عرض للاوضاع الصحية في الضفة الغربية وقطاع غزة ١٩٨٥ - ١٩٨٦ (١٩٨٦) القدس ص١١.

٣) اتحاد لجان الاغاثة الطبية الفلسطينية ووحدة صحة المجتمع في جامعة بيرزيت - لمحة عن الحياة والوضع الصحي في بدو - تقرير اولي - ايلول ١٩٨٦ - لم ينشر بعد.

٤) ريتا جقمان - لمحة عن الحياة والصحة في ثلاث قرى فلسطينية - ١٩٨٥ - ص ١٤٤

٥) وزارة الصحة الاسرائيلية - تقرير عام ١٩٨٦ لمنظمة الصحة الدولية - ص٨

٦) معطيات فرع نقابة الاطباء الاردنية في الضفة الغربية والجمعية الطبية العربية في قطاع غزة ١٩٨٧ .

٧) النسبة اجريت بالاستناد الى ارقام كتاب الاحصاء السنوي الصادر عن المكتب المركزي للاحصاء - عدد ٣٧ - ١٩٨٦

٨) كتاب الاحصاء السنوي الاسرائيلي - ١٩٨٦ (مصدر سبق ذكره)

٩) نقابة الاطباء في الضفة الغربية - الرعاية الصحية الاولية - الضفة الغربية ١٩٨٦ ص٤.

١٠) لجنة الاغاثة الطبية الفلسطينية في قطاع غزة ١٩٨٦ - الوضع الصحي في قطاع غزة ص ٦

١١) المعدل حسب بناء على معطيات تقرير وكالة الغوث الدولية الى مسؤول الصحة عام ١٩٨٥ - فينا - ص ٢٨.

١٢) الارقام مستقاة من كتاب الاحصاء السنوي الاسرائيلي لعام ١٩٨٦ (عدد ٣٧).

١٣) كافة الارقام مستقاة من كتاب الاحصاء السنوي الاسرائيلي ١٩٨٦ رقم ٣٧ الصادر عن مكتبالاحصاءالمركزي - ص ٦٨٣ و ص ٧٢٣

١٤) بنفنستي ميرون (١٩٨٦) - تقرير عام ١٩٨٦ - مركز الضفة الغربية للمعلومات بالقدس ص ١٧

١٥) الاغاثة الطبية وصحة المجتمع / لمحة عن الوضع الصحي في قرية بدو - مرجع سبق ذكره ص ٢٣.

١٦) اتحاد لجان الاغاثة الطبية الفلسطينية وقسم صحة المجتمع في جامعة بيرزيت - دراسة حول الوضع الصحي والاجتماعي في عين الديوك ١٩٨٧ - دراسة لم تنشر بعد.

١٧) وزارة الصحة الاسرائيلية - ١٩٨٦ - تقرير عن الوضع الصحي في الضفة والقطاع - مصدر سبق ذكره ص ١٣٧

١٨) الاغاثة الطبية وصحة المجتمع - دراسة بدو وعين الديوك - مصادر سبق ذكرها

١٩) ثومبسون ي.م وشمبلي ل.س (١٩٨٤) امراض العيون في الضفة الغربية وقطاع غزة - المجلة البريطانية لطب العيون ٦٨ /٨ ص ٥٩٨ - ٦٠٢

٢٠ + ٢١) نقابة الاطباء في الضفة الغربية - الرعاية الصحية الاولية - مصدر سبق ذكره ص ٤ / ص ٧

Digitized by Birzeit University Library

٢٢) سميث كريس (١٩٨٤) دراسة حول نوعية مياه الشرب في ٨ قرى في غور الاردن ، قسم صحة المجتمع / جامعة بيرزيت.
٢٣) اللجنة المشتركة للخدمات الصحة في الضفة والقطاع (١٩٨٥) تقرير لوزارة الصحة الاسرائيلية - ملحق ص ٣٠
٢٥) صحة المجتمع والاغاثة الطبية - دراسة بدو - مصدر سبق ذكره.
٢٦) اتحاد لجان الاغاثة الطبية الفلسطينية (شباط ١٩٨٤) اضواء على المشكلات الصحية في الضفة الغربية - ص ١٦
٢٧) سارة روي (١٩٨٦) بحث عن قطاع غزة - مركز الضفة الغربية للمعلومات - ص ١٠٧
٢٨) الارقام مأخوذة من سجلات مستشفى الكاريتاس للاطفال في بيت لحم.
٢٩) بدو - مصدر سبق ذكره.
٣٠) ريتا جقمان - مصدر سبق ذكره ص ٧٩.
٣١) دراسة عين الديوك - مصدر سبق ذكره.
٣٢) بيويه ج ٠ ٥ - ١٩٧٩ - دراسة للوفيات بين الاطفال في مخيمات مختارة في الشرق الاوسط ، فيينا ، وكالة الغوث الدولية - دراسة لم تنشر -
٣٣) دراسة بدو - مصدر سبق ذكره.

Digitized by Birzeit University Library

نحو نظرة علمية

لقضية الوحدة اليمنية

د. عبد الرزاق مسعد سلام / عدن *

تشغل مسألة توحيد اليمن مكانة هامة تتحدد من واقع ان هناك شعبا منقسما في دولتين توجد بينهما بسبب الاختلاف في التطور الاجتماعي - الاقتصادي والسياسي علاقات لا تتوافق مع المصالح المشتركة لاوسع الجماهير الشعبية وتطلعاتها.

وعلى الرغم من ان التقسيم قد حصل منذ فترة بعيدة الا ان ذلك لم يحدث اختلافا في اللغة والثقافة او طراز المعيشة او التقاليد .. والشعب اليمني يشعر من الناحية الموضوعية بانه شعب موحد على الرغم من انقسامه من الناحية الجغرافية والحكومية.

وقد ادت السياسة الاستعمارية للرأسمالية البريطانية والاعمال التوسعية للدولة العثمانية التي فرضت سيطرتها على الشعب اليمني منذ القرن الماضي الى التخلف عن مواكبة ركب العصر التاريخي الجديد بتطوره العاصف فقد كان شعبنا يعيش في احضان العلاقات الاجتماعية الاقطاعية وشبه الاقطاعية.

وكان التخلف في القوى المنتجة والسيطرة الاجنبية وعدم الوضوح في عملية التمايز والفرز الطبقي سببا في تأخر حركة التحرر الوطني .. ومن دون التقليل من النضال الذي خاضه الشعب اليمني ضد المحتلين والمستعبدين في الماضي الذي كان نضالا عفويا ولم يحقق اهدافه في التحرر الوطني والتقدم الاجتماعي والوحدة الديموقراطية الا ان الشعب ظل محتفظا بشعوره الوطني ، مؤمنا بحلول ذلك اليوم الذي سيحقق فيه حريته وسيزيح هذا التقسيم المصطنع عن الارض اليمنية.

وبعد الحرب العالمية الثانية حل ذلك اليوم الذي تخلصت فيه البشرية من اكبر خطر كان محدقا بها وهو خطر النازية والاكثر من ذلك فقد وجهت ضربة قاسية للامبريالية من خلال

---

* د. عبد الرزاق مسعد سلام حصل على الدكتوراه في تاريخ الحركة العمالية والشيوعية العالمية من اكاديمية العلوم الاجتماعية وادارة المجتمع في صوفيا / بلغاريا في العام ١٩٨٦ . وهو يشغل حاليا نائب مدير عام وكالة انباء عدن .

Digitized by Birzeit University Library

انتصار الثورات الاشتراكية في العديد من بلدان اوروبا واسيا واقيمت المنظومة الاشتراكية العالمية المتينة مما ادى الى انهيار النظام الكولونيالي للامبريالية.

وقد اعطت تلك التغييرات الحاصلة في العالم

دفعة قوية للنضال التحرري للشعوب العربية بما في ذلك الشعب اليمني الذي توجت نضالاته بقيام ثورة ٢٦ سبتمبر عام ١٩٦٢ وثورة ١٤ اكتوبر ٦٣ وعلى الرغم من الاختلاف في الاوضاع التي كان يعيشها الشعب في شطري اليمن والمهمات المختلفة التي كانت تقف امامه الا انه كافح موحدا. وهذا التطور العام للكفاح التحرري الوطني عمل على تعميق عملية التوحيد كون ان الجماهير الشعبية مؤمنة بحقيقة ان النصر في النضال من اجل تحقيق الاهداف القريبة والاهداف البعيدة . انما يرتبط بوحدتها بالذات.

وعلى الرغم من تباين طابع ثورتي الشطرين وميزاتهما الا انهما بالنسبة للجماهير الشعبية تمثلان ثورة ترى فيها وسيلة للتحرر من الاستعباد الاجنبي والتبعية الاقتصادية بالاضافة الى التخلص من الاستغلال والحكم المطلق والتخلف.

وبسبب هذا الهدف بالذات تكتسب مسألة توحيد شطري اليمن اهمية كبيرة وانطلاقا من حقيقة تحول هذه المسألة الى مسألة الشعب باكمله فانها فرضت نفسها على الدوائر الحاكمة والطبقات السائدة لتبحث عن سبل ووسائل من اجل تحقيقها .. صحيح ان هذه القوى تنطلق من مصالح مختلفة لدى معالجتها لمسألة الوحدة . وطالما ان الحكم في الشطرين حكم متباين فان عملية التوحيد تواجه الكثير من المصاعب الجدية.

الا ان الطموح نحو التوحيد ظل على الرغم مما حدث فيه من مد وجزر ، يمثل توجها عاما في الحياة السياسية لكلا الشطرين.

ولم يكن صدفة ابدا ان يجري تخصيص حيز كبير لهذه المسألة في وثائق الحزب الاشتراكي اليمني ففي التقرير السياسي للجنة المركزية للتنظيم السياسي الموحد الجبهة القومية في المؤتمر الاول للحزب الاشتراكي اليمني تمت الاشارة الى "ان الشعب اليمني قد قدم الكثير من التضحيات في سبيل قضيته الوطنية . وهذه التضحيات تمثل بالنسبة للوطنيين اليمنيين حافزا قويا لاستمرار النضال من اجل تحقيق اهداف الشعب اليمني المتمثلة بالتحرر الوطني والتقدم الاجتماعي والوحدة الديموقراطية (١).

ولقد ورد في برنامج الحزب الاشتراكي اليمني الذي اقر في مؤتمره التأسيسي عام ١٩٧٨ (بان استراتيجية الثورة اليمنية مرتبطة عضويا ودون انفصام بوحدة ثورة ١٦ سبتمبر وثورة ١٤ اكتوبر كوحدة تتوج وحدة الارض والشعب اليمني وبالتالي وحدة مصالحه المشتركة . وكذلك مرتبطة بوحدة الاداة .. على الصعيد اليمني كله لكي تتمكن من تحقيق الاهداف الاستراتيجية التاريخية لشعبنا اليمني ..)(٢).

ان القوى الوطنية الديموقراطية اليمنية كانت دائما تنطلق من مسألة ان الظروف السياسية والاجتماعية للبلاد بكاملها مترابطة بشكل ديالكتيكي وان النجاحات والاخفاقات التي تتحقق لدى احد الشطرين تؤثر تأثيرا ايجابيا او سلبا على اليمن بكامله وان الشعب اليمني في الجنوب الذي خاض نضالا موحدا للدفاع عن ثورة ال ٢٦ سبتمبر عام ١٩٦٢ في الشمال وضد الاستعمار البريطاني في الجنوب. سيستمر في خوض هذا النضال في كل انحاء الوطن للدفاع عن ثورة ال ١٤ اكتوبر عام ١٩٦٣ ومن اجل وحدة الثورتين اليمنيتين.

والحزب الاشتراكي اليمني ينطلق من فكرة الاشتراكية العلمية القائلة بان مسألة توحيد

Digitized by Birzeit University Library

اليمن تمتلك وستستمر في امتلاكها الاهمية التاريخية بالنسبة للحركة الوطنية الديموقراطية اليمنية وللجماهير الشعبية الواسعة وللنهضة القومية والتقدم الاجتماعي للشعب باكمله.

وبغية تحقيق الهدف المرسوم في تبيان مسألة ان توحيد شطري الوطن هي مسألة ممكنة فانه يجب الكشف عن الجذور التاريخية لنشوء المسألة الوطنية اليمنية وقضية وحدة اليمن في مرحلة النضال من اجل التحرر الوطني وامكانيات التوحيد في ظل الاستقلال الوطني ونشاط شطري الوطن اليمني الى التنسيق والوحدة بينهما.

وتحظى المسائل المطروحة في البرنامج والتقارير المقدمة الى المؤتمرات وقرارات دورات اللجنة المركزية للحزب الاشتراكي اليمني باهمية بالغة للتوضيح الصائب والعلمي لقضية الوحدة اليمنية . اذ تم فيها ولو بشكل مقتضب ومركز تناول القضية الوطنية اليمنية ومع هذا فانها تمثل اساسا لتوضيحها الشامل والكامل والمعمق والحزب الاشتراكي اليمني يعمل من خلال تحديد استراتيجية وتكتيك نشاطه لتقارب شطري الوطن ومن اجل التحقيق المادي لفكرة قيام اليمن الديموقراطي الموحد مستقبلا على اسس ديموقراطية سلمية.

ان موضوع الوحدة اليمنية يمتلك اهمية سياسية وتربوية كبيرة فوق اهميته العلمية والنظرية وذلك لان جزءا من الجماهير الشعبية في اليمن ما زالت غير قادرة على ادراك جوهر الوحدة وهي سهلة الوقوع في حبائل النظرات الضيقة من التعصب القومي التي تروج لها الاوساط الاقطاعية والبرجوازية والاقطاعية والرجعية والاوساط المعادية للاشتراكية العلمية ان الجيل الناشيء الذي يشكل جزءا كبيرا من السكان للاسف لا يعرف بشكل كاف ماضي الشعب اليمني وتكوينه التاريخي ولهذا فهو بحاجة الى ان يغرس فيه روح الوحدة والاستعداد للنضال بكل قواه ضد التعصب القومي والشوفيني . ومن اجل اعادة وحدة الوطن ارضا وشعبا على اسس ديموقراطية وسلمية.

ان الكشف المتتالي لعمليات وتوجيهات التطور في العملية التوحيدية يساعد على تعزيز الوعي التاريخي ورفع الشعور القومي لشغيلة اليمن وتعميق النضال لتجاوز التقسيم وانشاء الدولة اليمنية الموحدة . وبالتزامن مع ذلك سيساعد هذا الكشف على فضح كافة القوى المعادية في الاوساط الرجعية والامبريالية العالمية التي توجه كل جهازها الدعائي لتسميم وعي الجماهير في شطري اليمن ولزعزعة الحكم الديموقراطي الثوري في جنوب الوطن وكما هو معروف فان جمهورية اليمن الديموقراطية الشعبية تعتبر احد المواقع المحددة من قبل الامبرياليين وخاصة حكومة الولايات المتحدة الامريكية في مجمل استراتيجيتها الهادفة الى الانتقام منها ومن هنا فان ايضاح ابعاد اهمية الوحدة اليمنية سيساعد على رفع التربية الوطنية وزيادة اليقظة والاستعداد الكفاحي للشغيلة اليمنيين للدفاع ليس فقط على المكتسبات الحالية بل وتناضل سوية من اجل تطويرها اللاحق. ان ذلك لا يكون في المستطاع الا في ظل دولة يمنية واحدة قائمة على اساس الديموقراطية والتقدم الاجتماعي.

عند التركيز على تطور قضية الوحدة اليمنية يجب الاشارة الى ان المسئول الاول عن تقسيم الشعب اليمني هو العدو الاجنبي متمثلا في الدولة العثمانية والدولة الرأسمالية بريطانيا وسياستها الاستعمارية ومما لا شك فيه ان بنية المجتمع اليمني وسيطرة الاقطاعيين والعلاقات الانتاجية قبل الاقطاعية وتشتت البلاد والعداء ما بين الائمة والشيوخ والامراء جميعها لم تتح

Digitized by Birzeit University Library

للشعب الدفاع عن استقلاله ووحدة ترابه.

وعلى الرغم من ان الشعب اليمني وقع تحت تأثير الهجمات الاجنبية المتواصلة وظل مجزءا ومقسما يعاني من التخلف المريع فانه مع ذلك لم يتوقف عن الكفاح ضد المحتلين الاجانب ولم ينس انه شعب موحد. وقد خاض الشعب اليمني حربا استخدم فيها كافة اشكال الكفاح. وفي الجنوب مر الكفاح التحرري ضد الاستعمار البريطاني بثلاث مراحل..

المرحلة الاولى .. تشمل الفترة من دخول بريطانيا الى عدن وحتى الحرب العالمية الاولى.

والثانية من انتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى حتى الحرب العالمية الثانية.

والثالثة ما بعد الحرب وحتى الاستقلال الوطني في نوفمبر عام ١٩٦٧.

وفي الشمال كانت احدى مراحل المقاومة ضد المحتل التركي قد انتهت بطرده منه في عام ١٩١٨ م ، ان هذا لا يعني ان مشاكل الشعب قد حلت ولهذا استمر النضال ضد الحكم الاقطاعي الامامي المطلق الذي كلل بالنصر بقيام الثورة ٢٦ سبتمبر عام ١٩٦٢ وفي الجزء الجنوبي من اليمن نما باطراد الكفاح من اجل وحدة اليمن في فترة الستينات وتم تشكيل المنظمات الوطنية سواء في الشمال او في الجنوب.

ان هذه التنظيمات قد تميزت في غالبيتها بضيق النفس وتعصبها القومي ونزعتها الاصلاحية والتي لم تقدم الا القليل من المساهمة في انتصار ثورة التحرر الوطني.

ولم يكن بالمستطاع في هذه المرحلة من التطور الاجتماعي والاقتصادي والسياسي في اليمن القيام بتشكيل حزب ثوري ذو ايديولوجية واضحة وقادرة على قيادة الجماهير . الا انه نشأت فيها المقدمات الضرورية فقط. لانشاء مثل هذه المنظمة الديموقراطية الثورية.

وفي وقت لاحق نشأت المنظمات الوطنية كمنظمة - الضباط الاحرار في اليمن الشمالي والجبهة القومية لتحرير جنوب اليمن اللتين لعبتا دور القوة القائدة لانجاز الثورتين في الشطرين.

انه في الوقت الذي نشير الى قيام الاحزاب والحركات التقليدية في الشمال والجنوب التي عانت من السلبيات الانفصالية وانعدام التنظيم المتناسق والبرنامج الواضح وضيق الافق في العمل والتأثير على الجماهير.

فان حركة القوميين العرب كانت هي السباقة من الاحزاب الناشئة حينذاك في بلورة الوعي التدريجي لاعضائها وبشكل مبكر لتحقيق الوحدة اليمنية وهي الاولى التي وجهت انتقادا حازما لتذبذب الاحزاب التقليدية في موقفها من حركة التحرر والوحدة كما قامت بالاسهام الفعلي لقيام الجبهة القومية التي قادت الكفاح المسلح لتحرير الجنوب وقدمت المساعدة الى القوى الديموقراطية . والتقدمية في الشمال لتعميق التحولات الجارية في البنية الاجتماعية.

ان سياسة الجبهة القومية في مسألة الوحدة تعتبر بشكل عام سياسة صائبة الا انها عانت من بعض نقاط الضعف وخاصة من الجناح القومي المتعصب الذي يعتبر ثمرة من النفوذ القومي للعناصر الاصلاحية والبرجوازية الصغيرة في الفترة الاولى وكان ابعادها عن القيادة قد ادى الى وضع مسألة التوجيه في موقف صائب منذ المؤتمر العام الخامس للجبهة القومية وحتى قيام الحزب الاشتراكي اليمني في اكتوبر١٩٧٨.

ان هذه العملية من التداخل والترابط بين الثورتين قد جرت متابعتها بعمق وشمولية في العديد من المؤلفات والكتابات التاريخية وتمت البرهنة على ان كلا منهما مصحوبة بالاخرى وان انتصار احداهما يعتبر غير ممكن من دون انتصار الثانية.. وهذا الترابط المتبادل والدعم الذي تبديه الجماهير الشعبية في شطري البلاد يبين بوضوح عدم وجود اختلافات بينهما

Digitized by Birzeit University Library

وتعتبر ممهدات موضوعية لتوحيدهما .. وفي خضم الكفاح المضطرم ظهر في المرتبة الاولى تضامن الطبقة العاملة اليمنية فيما بينها وقد تم في جزء كبير في اوساطها تشكيل الحزب الوطني على الرغم من انه قد تكون من فئات مختلفة ، الا انه قد ساعد على الحفاظ على الجمهورية في الشمال . ويعود ذلك الى النواة المتينة من العمال في الشمال والجنوب حيث اعتبر اليمنيون هذه المشاركة عملا وطنيا يؤدي الى وحدتهم ، ورأوا فيه خلاصا من التخلف والعوز والاضطهاد القومي والظلم الاجتماعي.

لقد حظى هذا الكفاح الموحد لابناء اليمن بالتعاطف من جانب المجتمع التقدمي والديموقراطي العالمي باجمعه .. ومثل ذلك حافزا هائلا للشعب اليمني باكمله والذي يؤمن اكثر مما مضى بضرورة بناء مستقبله في اطار دولة واحدة خالية من المضطهدين والمستغلين (بالكسر).

وعلى الرغم من الاستقرار الذي حصل في الوضع في اليمن الديموقراطية الا انه ظل يعاني من صعوبات جديدة .. ففي صفوف الجبهة القومية نشأ جناح يساري متطرف عمل على ربط الوحدة بعملية اجراء تحويلات في البلاد تؤدي من حيث الجوهر الى تصفية مكتسبات الثورة الديموقراطية الوطنية ووقوعها في احضان التبعية للامبريالية والرجعية العربية.

ان الاجراءات التي تمت في عام ١٩٦٩ اتاحت تعزيز مواقع السلطة الديموقراطية الثورية في جمهورية اليمن الديموقراطية الشعبية . كما ان ابعاد العناصر السياسية المتطرفة في التنظيم السياسي الموحد الجبهة القومية والذي تم في عام ١٩٧٨ هو الاخر اتاح تعزيز هذه السلطة والانطلاق بثقة في طريق التوجه الاشتراكي. ان هذه الاجراءات ساعدت على قيام الحزب الاشتراكي اليمني والانطلاق بثقة في طريق التوجه الاشتراكي . ومرة اخرى نما في صفوف الحزب الاشتراكي اليمني تيار يميني رجعي في الحزب ابتداء من ابريل ١٩٨٠ هذا التيار اليميني اسفر عن قناعه البشع في مؤامرة ١٣ من يناير الانقلابية الفاشلة حيث حاول القضاء على الحزب الاشتراكي اليمني وقام باغتيال قيادته التاريخية عبد الفتاح وعلي عنتر وشائع وصالح مصلح ومن ثم محاولة القضاء على التجربة الثورية في اليمن الديموقراطية وسعى كذلك الى مصادرة قضية الوحدة اليمنية ومصادرة نضالات الحركة الوطنية في الشمال والجنوب لتحقيق هذه الوحدة.

لقد حصلت في شطري الوطن تحولات اجتماعية واقتصادية وسياسية ففي الشطر الشمالي من الوطن تمت اجراءات في كافة مجالات الحياة .. ففي المجال الاقتصادي تمت مصادرة الارض التابعة للامام ووزع قسم منها على الفلاحين وانشيء من جانب اخر قطاع الدولة في التعاونيات وانشأت اولى التعاونيات وجرى ادخال نظام ضريبي واصلاح تعليمي وتحسين الجانب الصحي.

كما جرت محاولة ادخال التخطيط في الاقتصاد الوطني.. والاستنتاج الذي يمكن استخلاصه هو انه منذ عام ١٩٦٧ كانت توضع اسس النظام الاجتماعي الجديد ونمط حياة معاصرة . بيد ان ذلك لا يعني ان مخلفات النظام الملكي الاقطاعي القديم قد انتهت كليا.

كانت التحولات الديموقراطية التي اجريت بمثابة عامل مساعد على تعميق التوجيهات التوحيدة الا ان ذلك قد استمر حتى الانقلاب الرجعي في نوفمبر من عام ١٩٦٧ . وقد ضعفت هذه الامكانيات فيما بعد بسبب التوجه الجديد للحكومة بالطريق الرأسمالي في التطور واتباع سياسة / الانفتاح/ التي ادت الى تغلغل واسع للرساميل الاجنبية وتبعية الاقتصاد الوطني للاقتصاد الرأسمالي العالمي - وحدث تغير في

Digitized by Birzeit University Library

البنية الطبقية الاجتماعية للمجتمع . وازداد دور البرجوازية التجارية والكمبرادورية . ونشطت العناصر الاقطاعية وتوجهت نحو استرجاع الارض التي جرت منها. الا انه حدث نمو في العلاقات الرأسمالية في الريف الامر الذي ادى الى فرز اجتماعي كبير وتأزم في الصراع الطبقي.

وكان تطور الصناعة يجري ببطء نسبيا باتجاه تعزيز القطاع الخاص. اما تطور التجارة فيسير بشكل اسرع وخاصة مع البلدان الرأسمالية.

ولكن على الرغم من ان الشطر الشمالي من الوطن يسير في الطريق الرأسمالي فانه لم يجر التوصل التام الى الانفصال عن العمليات الاقتصادية في الشطر الجنوبي من الوطن وان امكانية التوحيد ليست معدومة .. انطلاقا من واقع ان الشطرين يمران بمرحلة انتقالية لا يستطيع احد التكهن بمدتها ولا يمكن التنبؤ بما قد تخلقه الظروف من واقع او وضع جديد.

وفي اليمن الديموقراطية وعلى الرغم من بعض الترددات بسبب الاختلافات القائمة داخل الجبهة القومية . فان المجتمع كان يتطور بطريقة التقدم الاجتماعي وبنتيجة التغييرات السياسية في القيادة الحزبية والحكومية اخذت البلاد تسير في طريق الوجهة الاشتراكية . وحصل تأميم البنوك الاجنبية ومؤسسات التأمين والشركات الانشائية ونشأ قطاع الدولة في الاقتصاد وتمت مصادرة الارض الاقطاعية والاميرية واقرار قانون الاصلاح الزراعي الذي يتضمن اعطاء الارض للفلاحين الفقراء وتوجيههم نحو انشاء التعاونيات وبدأت عملية التخطيط في الاقتصاد الوطني ونتيجة التنفيذ الناجح للخطط الاقتصادية كانت البلاد قد حققت نجاحات بالغة اثرت تأثيرا كبيرا على كافة المجالات في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وازداد الدخل الوطني للبلاد وازدادت انتاجية العمل ويتيح كل ذلك امكانية رفع المستوى المعيشي للشغيلة .كما ان النجاحات في المجال السياسي تعتبر نجاحات بارزة ، حيث جرى اقرار الدستور والتأكيد على ان مهمة الدولة هي الوصول الى الاشتراكية . ان توسيع الديموقراطية يكشف عن امكانيات ايجابية لتطوير المنظمات الاجتماعية والنقابية والتي تلعب دورا متناميا سواء في بناء المجتمع الجديد او في الدفاع عن الثورة الديموقراطية الوطنية.

ويمكن الحديث عن النجاحات في المجال الثقافي والصحي . وهناك حيز هام تشغله مسألة التربية الفكرية للسكان بروح افكار الاشتراكية العلمية والاممية البروليتارية . ان النهج السياسي الخارجي قائم على اساس التعايش السلمي بين الدول ذات الانظمة الاجتماعية المختلفة وعلى اساس الصداقة والتعاون مع كافة بلدان الاسرة الاشتراكية وفي طليعتها الاتحاد السوفييتي.

ان جمهورية اليمن الديموقراطية الشعبية تعتبر جزءا لا يتجزأ من معسكر الديموقراطية والسلم والاشتراكية.

ومن خلال تصفية الوجود الامبريالي والتبعية وتصفية الرجعية الداخلية فان اليمن الديموقراطية تسير بثقة للانتقال نحو بناء المجتمع الجديد . وتمثل التغيرات فيها اساسا للوحدة مع الشطر الشمالي من الوطن ، وستقوم بكل ما في وسعها من اجل تحقيق ذلك وان للقوى الرجعية والامبريالية والصهيونية نشاطا واسعا في تدخلها السافر في قضية الوحدة اليمنية ، وهي تعرقل التطور في علاقات حسن الجوار . وتسعى باستمرار الى تغيير اشكال ووسائل وطرق التأثير ، معولة بمقدار كبير على التأثير الاقتصادي ، طالما وان هذين الشطرين يمتلكان امكانيات محدودة في هذا المجال ، هذا بالاضافة الى محاولة تسعير الحروب بين الشطرين والامثلة عديدة . ولهذا من الضروري رفع اليقظة الكفاحية لليمنيين.

Digitized by Birzeit University Library

ان الحزب الاشتراكي اليمني يطمح الى مواصلة بذل كافة الجهود نحو التنسيق المشترك اخذا بعين الاعتبار الاوضاع المتغيرة وهو في هذا المجال يحصل على دعم من القوى الوطنية والديموقراطية في عموم الوطن اليمني ، الامر الذي نتج عنه التوقيع على العديد من الاتفاقيات في عام ١٩٧٢ في القاهرة وطرابلس وتعززت اللقاءات الوحدوية ابتداء من مارس ١٩٧٩ وشكلت العديد من اللجان الفنية والاقتصادية ويجري التعاون الاقتصادي في العديد من المجالات . لقد عرقلت المؤامرة الانقلابية التي قادها المتآمر علي ناصر الى حد ما هذا السير الا ان جهود الحكومتين تبشر بعودة الحياة الى مجاريها .. ومن اجل تعزيز هذا السير فانه يتطلب من الشطرين الوقوف بشكل موحد ضد مؤامرة الاعداء الرجعية والامبريالية . وتعتبر اشكال التعاون المختلفة بين الشطرين وفي جميع المجالات احدى مكونات المقدمات الموضوعية للوحدة العضوية بين الشطرين.

وفي ختام هذا الموضوع يمكن لنا مما سبق ان نستنتج التالي :

١) ان الشعب اليمني على الرغم من انقسامه جغرافيا وحكوميا. ورغم ان ذلك قد حصل منذ زمن ليس بالقريب ، الا انه ظل دوما يناضل موحدا . وهو ينطلق بذلك بشكل موضوعي لشعوره بكونه شعبا موحدا وان ذلك التقسيم الحاصل لم يغير من سماته التكوينية كاللغة والثقافة وطراز المعيشة والتقاليد وتكوينه النفسي.

٢) الضرورة في استمرار الباحثين والمؤرخين لبحث الوحدة اليمنية كعملية تاريخية اجتماعية مستمرة حتى يومنا هذا ذلك من اجل تعزيز الوعي الوطني لليمنيين ورفع التربية الوطنية والشعور الوطني القومي بخلق الدولة اليمنية الموحدة القائمة على اساس التقدم الاجتماعي.

٣) خلافا لما يدعيه اعداء الشعب اليمني من مؤرخين برجوازيين واصلاحيين بان الشعب اليمني ظل تاريخيا مقسما فان ظهور قضية الوحدة اليمنية كقضية وطنية كان قد تم عند اقتسام الاستعمار الانجليزي التركي لليمن.

٤) وضح لنا مدى التداخل والترابط في نضال الشعب اليمني المعادي للاستعمار في كافة مراحله وحتى انتصار الثورات التحررية الوطنية في الفترة ما بين ١٩٦٢ - ١٩٦٧ وان ثورة ٢٦ سبتمبر و ١٤ اكتوبر المجيدتين كانتا مصحوبتين ببعضهما وان انتصار احداهما لم يكن ممكنا من دون انتصار الثانية ، وان انتصار ثورة ٢٦ سبتمبر في الشمال مثل احدى المقدمات البارزة للثورة المسلحة في الشطر الجنوبي من الوطن وتعتبر نتيجة منطقية للوحدة العضوية لنضال الشعب اليمني ضد الامبريالية والرجعية المحلية.

٥) جنبا الى جنب مع التطور والاتجاهات التوحيدية ظهرت تاريخيا بعض السلبيات التي عرقلت تحقيق الطموحات التاريخية للشعب اليمني لاقامة دولته الواحدة.

٦) ادى الانقلاب الرجعي في شمال الوطن في ٥ نوفمبر ١٩٦٧ الى اتجاه الشطر الشمالي مر الوطن نحو وجهة اخرى وكذا التغير الحاصل هناك في البنية الاجتماعية والطبقية.

٧) وجود القوى اليمينية في الجبهة القومية في السلطة عشية الاستقلال الوطني للشطر الجنوبي من الوطن وقيام الحركات الرجعية الفاشلة في ٢٠ مارس ١٩٦٨ ووجود الخطرين الجديدين في الحزب الاشتراكي اليمني التيار الانتهازي المغامر بقيادة سالم ربيع علي واليمين الانتهازي بقيادة خائن الوطن والحزب علي ناصر محمد اللذين تم القضاء عليهما.

أ - فمن خلال التحولات الاجتماعية والاقتصادية التي تتم في الشطر الشمالي من الوطن واتجاهات التطور في الاتجاه الرأسمالي الا انه لم يتم التوصل الى انفصال عن العمليات

Digitized by Birzeit University Library

الاقتصادية . وان امكانيات التوحيد ما زالت ممكنة اذا اكتملت العوامل الذاتية الاخرى.

ب - من خلال نضال الشطر الجنوبي من الوطن في تصفية الوجود الامبريالي والتقليص المستمر والتدريجي في العلاقات الاقتصادية مع البلدان الرأسمالية فانه يسير بثقة للانتقال نحو بناء المجتمع الجديد وتمثل التغييرات فيه وفي كل مناحي الحياة اساسا للوحدة مع الشطر الشمالي من الوطن وعلى الوطنيين في عموم البلاد القيام بكل ما في وسعهم من اجل تحقيق ذلك ورفع اليقظة والقدرة الدفاعية لشعبنا انطلاقا من الخطر المحدق دوما من جراء تدخلات القوى الامبريالية والرجعية في الساحة اليمنية.

ج - اذا تطورت الثورة الوطنية الديموقراطية في الشطر الجنوبي بنجاح فان ذلك امر هام حيث سيفعل اثره فعلا كبيرا على الشطر الشمالي وسيعمل على تقريب الشطرين من الوحدة.

د - ان سياسة الحزب الاشتراكي اليمني ازاء قضية الوحدة اليمنية هي سياسة صائبة ومن المهم جدا ان تراعي هذه السياسة المتغيرات المستجدة في الساحة اليمنية والدولية وان يختار الحزب الاشكال المناسبة لتنفيذ هذه السياسة بما يتناسب والبعد الاستراتيجي لها.

Digitized by Birzeit University Library

ندوة:

مسيرة اتحاد الكتاب الفلسطينيين

في

الضفة الغربية وقطاع غزة

المشاركون في الندوة:

- خليل توما - رئيس الهيئة الادارية السابقة للاتحاد.
- اسعد الاسعد - رئيس الهيئة الادارية الحالية للاتحاد.
- جميل السلحوت - عضو الهيئة الادارية لاتحاد الكتاب.
- نبيل الجولاني - عضو الهيئة الادارية لاتحاد الكتاب
- صبحي الشحروري - عضو لجنة العضوية في اتحاد الكتاب.
- محمد البطراوي - عضو لجنة العضوية في اتحاد الكتاب.
- يوسف حامد - الهيئة الادارية لاتحاد الكتاب.

حاورهم :-

وسيم الكردي - خالد بطراوي.

وسيم:

نيابة عن اسرة تحرير مجلة "الكاتب" التي كلفتني وزميلي خالد بادارة الندوة ، ارحب بكم جميعا في ندوتنا هذه والتي حملت عنوان "مسيرة اتحاد الكتاب".

نجري الندوة في الوقت الذي يقترب معه موعد انعقاد المؤتمر العام للاتحاد ، ونرغب في الحديث عن الانجازات التي جرى تحقيقها من ناحية وعن الاخفاقات ، بالاضافة الى اطلاعنا على وجهة نظركم للسبل التي تقترحونها لوحدة الكتاب الفلسطينيين في الضفة والقطاع في اطار اتحاد الكتاب. نرغب في البداية ان نستمع للاستاذ اسعد الاسعد ، رئيس الهيئة الادارية للاتحاد ، حول ظروف نشأة اتحاد الكتاب.

Digitized by Birzeit University Library

اسعد الاسعد:

نستطيع القول انه حتى عام ١٩٨٢، كانت الحركة الادبية موحدة في اطار دائرة الكتاب في الملتقى ، وقد خرجنا من دائرة الكتاب بناء على طلب من زملاء لم ينضموا لاتحاد حتى اللحظة الحالية . واقصد تحديدا الزملاء الشاعر علي الخليلي والاديب اكرم هنية وزملاءهما. وتشكلت انذاك لجنة تحضيرية وبموافقة جميع الكتاب وتم ترتيب الاوضاع بشكل يؤهلنا للاعلان عن تشكيل الاتحاد ، وفوجئنا والغصة تعلو حلوقنا بانشقاق الاتحاد العام في الخارج وانعقاد مؤتمر صنعاء . عندها طلب الزملاء الوارد ذكرهم اعلاه اصدار بيان يؤيد مؤتمر اتحاد الكتاب في صنعاء. ورفضنا من جانبنا ذلك وتقدمنا باقتراح لاصدار بيان يدعو لوحدة الكتاب ورُفض الاقتراح واصدرنا البيان واود التنويه هنا الى ان الاقتراح كان اقتراحا من اغلبية الكتاب. واصرّوا على موقفهم وامتنعوا عن المشاركة في تأسيس الاتحاد ، وقالوا حينها انهم يفضلون البقاء بعيدا بسبب الظروف الحالية:

صحبي شحروري:

اذكر ان الاديب اكرم هنية حضر جلسات في الملتقى ثم انسحب دون ابداء الاسباب .

اسعد:

عندها اعلنا عن تأسيس الاتحاد في ٨٤/١١/٢٣ بمن حضر وكانوا في حينه اغلبية الكتاب في الارض المحتلة.

نبيل:

بعد حزيران ١٩٦٧ وجد الكتاب انفسهم في مواجهة مستمرة نوعية مع واقع جديد ، فاخذت جهودهم تتكاثف من اجل ايجاد اطار يجمعهم ويستطيعون العمل من خلاله. ونشطت هذه الجهود في نيسان عام ١٩٧٦ حيث تواكبت تجارب عدة من اجتماعات ولقاءات لمناقشة اعمال ادبية في مكتبة بلدية رام الله وجمعية الهلال الاحمر بغزة ، ومن ثم في جامعة بيرزيت وكذلك تجمع كتاب البيادر في الاعوام ١٩٧٧ و ١٩٧٨ . ومع ذلك فقد بقيت كافة هذه التجارب قاصرة عن تشكيل رابطة تجمع كتاب الضفة الغربية وقطاع غزة.

وفي عام ١٩٨٠ تم تشكيل دائرة الكتاب من خلال الملتقى الفكري العربي بالقدس ، وقد اقتصرت نشاطات الدائرة في الاعوام ١٩٨١ و ١٩٨٢ على اقامة المهرجان الاول ثم الثاني للادب الفلسطيني في الارض المحتلة واصدار المجموعة القصصية المشتركة الثانية واصدار كتاب المهرجان الاول.

واعتبرت كافة هذه التجارب مجتمعة نواة لتأسيس اتحاد الكتاب ، حيث بادرنا بتاريخ ١٩٨٤/٦/٢٦ الى عقد لقاءات عدة بهدف تأسيس اتحاد الكتاب وشارك في اللقاءات كل من اسعد الاسعد ، نبيل الجولاني ، علي الخليلي ، غسان عبدالله ، واكرم هنية. واستمرت اللقاءات قرابة الستة اشهر ، وتوجت بانتخاب لجنة عضوية مؤلفة من الاستاذ صبحي شحروري والاستاذ محمد بطراوي والدكتورة حنان ميخائيل. وجرى اعتبار ١٣ كاتبا هيئة تأسيسية ، وقدم طلب للحصول على ترخيص قدمه كل من اسعد الاسعد ، نبيل الجولاني وخليل توما.

Digitized by Birzeit University Library

وجرى بتاريخ ١٩٨٤/١١/٢٣ الاعلان عن تأسيس اتحاد الكتاب وضم غالبية كتاب الارض المحتلة باستثناء بضعة كتاب آثروا البقاء خارج الاتحاد ريثما يتسنى لهم تأسيس اتحاد وفق مطامعهم الذاتية.

محمد بطراوي:

اؤكد على ما ذكره نبيل ، واضيف مجيبا على تساؤل لماذا فشلت جهود الحوار؟ الفشل ينبع من ظروف موضوعية ، ما اسميناه اتحاد الكتاب صدر له نظام وضوابط ومعايير ، وكذلك تجمع كتاب البيادر كان له ضوابطه ومعاييره. وقعنا جميعا تحت الوهم الكبير والمتلخص في ضرورة ان يكون لنا مظلة ، كوننا في تلك الفترة لم نكن نملك ترخيصا.

وكان من الممكن ان نستمر في تجمع البيادر آنذاك ولكن ، تغيرت البيادر كمجلة في عام ١٩٧٧ . بحثنا عن اطار اخر نجد فيه حرية وممارسة ديموقراطية داخل مؤسسة معينة تمنحنا شبه استقلال كامل. وبعد حوار طويل مع المرحوم غسان حرب والاستاذ ابراهيم الدقاق وصلنا الى صيغة دائرة الكتاب في الملتقى الفكري.

اسعد:

معذرة "ابو خالد" قبل ذلك كانت تجربه بيرزيت.

محمد بطراوي:

تجربة بيرزيت كانت غير مكتملة ورفضناها كونها لا تحقق استقلالية تامة. في الملتقى كان النشاط وتوسعت العضوية ولا اذكر كم بلغ عدد الاعضاء ربما اسعد يتذكر.

اسعد :

٧٣ كاتبا.

محمد :

نشاطات الدائرة عديدة وذكرها زميلي نبيل ومع ذلك وجد الكتاب انفسهم في اطار مؤسسة لها نظامها الداخلي ، اضافة الى تذمر كلا الطرفين لتقصير او عدم تعاون الطرف الاخر.

وبناء على رغبة العديد من الكتاب ومنهم ايضا علي الخليلي واكرم هنية خرج "الاتحاد" من الملتقى بهدف ايجاد اطار مستقل خاص بالكتاب ويسعى للحصول على ترخيص.

وبودي التأكيد على ان الفشل لم يكن في يوم من الايام نتيجة قصور من قبل الكتاب انفسهم باتجاه تحقيق الوحدة.

قضية اخرى ، كان الكتاب يرون في اتحاد الكتاب لقاءا لتدارس عمل ادبي معين ، وليس تشكيل اطار نقابي او جسم يجب ان يعبر عن وجهة نظر مؤيدة لهذا او ذاك، كان الهدف هو شكل من اشكال الدفع بالحركة الادبية الى الامام ، وباتجاه تطوير الادب والاديب.

وبتصوري ان الخلاف نشب قبل اليمن ومؤتمر الكتاب في صنعاء. وما حصل في صنعاء ما هو الا ذريعة واذكر في اجتماع جرى في جمعية الشبان المسيحية في تموز ١٩٨٤ حضر يوسف العبيدي ثم انسحب. عندما انسحبوا كانوا يدركون وبعد قياس للامور ان الرئاسة لن تكون لهم ، وعند صدور بيان صنعاء غلفوا جوهر خلافهم بمؤتمر صنعاء.

Digitized by Birzeit University Library

جميل السلحوت :

وبرر احدهم - ولا داعي لذكر اسمه - انهم لا يريدون اتحادا للكتاب وانما تجمعا ادبيا بمثابة "صالون".

محمد بطراوي:

ولو عدنا الى ال ٧٣ كاتبا اعضاء دائرة الكتاب ، كم عدد الكتاب الذين انضموا للاتحاد؟

اسعد الاسعد :

٦٢ كاتبا.

محمد بطراوي:

بما معناه الجسم الكامل ، انسحب العشرة كتاب كونهم يريدون ان يكون للاتحاد شكل سياسي معين ، انا من مؤيدي الالتزام بالخط الوطني العام ، لا ان يجري تجيير هذا الاطار او ذاك لصالح جهة سياسية معينة.

وسيم:

هذا يعني ان الغالبية العظمى من كتاب دائرة الكتاب اضحوا اعضاء في اتحاد الكتاب.

محمد بطراوي:

بالضبط، ومن حضر الاجتماع التأسيسي اعتبر عضوا مؤسسا وبعدها جرى اخضاع المتقدمين ونتاجهم للجنة العضوية ، وللعلم لجنة العضوية منفصلة عن الهيئة الادارية ولا تلزمها الهيئة الادارية بقراراتها.

جميل:

وارغب في التوضيح، من هم لجنة العضوية؟ هم من اكفأ الكتاب والادباء، ومن قدماء حركتنا الادبية الفلسطينية ، ومن كتاب الخمسينات وكتاب مجلة الافق الجديد.

صبحي شحروري:

بالمناسبة لجنة العضوية كانت تتلقى طلبات لاعضاء جدد من الهيئة الادارية ويرفق نتاج الكتاب في حالة عدم وجود نتاج ادبي مطبوع (كتب مثلا) وكان النتاج الادبي يدرس دراسة علمية وموضوعية وعلىضوء الدراسة يجري البت في طلب الانتساب ووفق النظام الداخلي. وقد جرى قبول اعضاء في اتحاد الكتاب بغض النظر عن رؤياهم الفكرية او السياسية وكان المعيار الاول والاخير الكفاءة الادبية.

محمد بطراوي:

بخصوص اختيار اعضاء لجنة العضوية ، كان واضحا وقتها اننا نريد من هم قادرين على النقد ، وجرى ترشيحي وترشيح الاستاذ صبحي والدكتورة حنان بصفتها دارسة متخصصة.

Digitized by Birzeit University Library

صبحي:

بالاضافة الى كونها مترجمة لاعمال ادبية فلسطينية الى اللغة الانجليزية.

محمد:

وكتبت كتابا باللغة الانجليزية.

ولكن.. ماذا كان يحكم لجنة العضوية عند الموافقة على الاعضاء.

اولا: النوع وليس الكم.

ثانيا: تشجيع الاعضاء/ تقبل اعضاء كنا نرى في كتاباتهم بوادر ومؤشر ، كنا نراهم كتابا واعدين.

خالد بطراوي:

ولكن، في احدى الاقتراحات التي نشرت مؤخرا في مجلة محلية بخصوص وحدة الكتاب وردت نقطة تدعو الى تشكيل لجنة عضوية جديدة ومحايدة ، ويفهم من هذه النقطة ان صاحب الاقتراح يتهمكم بعدم المحايدة.

محمد:

يريدون الاتحاد لفئة ونحن نريده غير محصور بفئة نحن معنيون بدفع الحركة الادبية ولسنا معنيون بابراز افراد ، معنيين بتعميق الديموقراطية ، عندما ينضم ٦٣ كاتبا ويخرج ١٠ كتاب ، لماذا يريد العشرة فرض رأيهم؟

صبحي:

وهل صاحب الاقتراح نفسه والذي يتهمنا بعدم المحايدة، هل يطرح اقتراحه من موقف محايد؟

جميل:

الطرف الذي يشكك في لجنة العضوية ويتهمها بعدم الحياد ، هل يوافق على الرجوع الى الهيئة العامة التي كانت في دائرة الكتاب في الملتقى الفكري والتي ترأسها آنذاك الشاعر علي الخليلي وضمت في عضويتها اكرم هنية ، سامي الكيلاني ، وغسان عبدالله ، هل يوافقون على مبدأ الاحتكام للهيئة العامة لدائرة الكتاب؟؟

وسيم:

دعونا قبل الخوض في هذه المسألة ، ان نتحدث عن انجازات اتحاد الكتاب منذ ١٩٨٤/١١/٢٣ وحتى الان.

نبيل الجولاني:

انجازاتنا متواضعة ولكن الاحترام الشديد لكافة الزملاء الذين ساهموا في تحقيقها. ويمكنني تلخيصها على النحو التالي:

اقامت الهيئة الادارية الانتقالية عدة نشاطات وندوات ادبية مختلفة ، ونفذت الهيئة الادارية الاولى خطتها بشكل جاد وعقدت بتاريخ ١٩٨٦/٤/٦ ندوة حول تفعيل المسيرة الادبية ثم وبعد اسبوع في ٨٦/٤/١٢ شارك الاتحاد بمؤتمر دعم وحماية الثقافة الفلسطينية المنعقد في اليونان ونظمت بتاريخ ٨٦/٤/١٦ ندوة بعنوان الادب الفلسطيني وذلك في الجامعة العبرية

Digitized by Birzeit University Library

وبتاريخ ٨٦/٤/٢ اصدر الاتحاد بيانا ندد فيه بالاعتداء الامريكي على الجماهيرية الليبية ، وبتاريخ ٨٦/٤/٢٣ نظمت ندوة حول الادب في جامعة بئر السبع وفي ٨٦/٥/٢١ ندوة حول دور النقد في تطور الحركة الادبية وبتاريخ ٨٦/٥/٢٢ نظم لقاء بين وفد اتحاد الكتاب والملحق الثقافي الفرنسي ، وبتاريخ ٨٦/٦/٢ اقيم حفل فني / ادبي وبتاريخ ٨٦/٦/٢٥ وجه الاتحاد نداءا للكتاب والصحفيين في الخارج ناشدهم فيه بضرورة الاسراع في وحدة الكتاب وانجازها.

وبتاريخ ١٩٨٦/٧/١١ اعلن الاتحاد تضامنه اللامحدود مع صحيفة الميثاق ومجلة العهد ونظمت بتاريخ ٨٦/٧/١٨ ندوة حول الادب وارتباطه بالمجتمع بالاضافة الى ندوة ادبية بتاريخ ٨٦/٩/٢٦ في غزة ، واصدر الاتحاد بتاريخ ١٩٨٦/١١/١٢ بيانا استنكر فيه ابعاد الزميل اكرم هنية ونظمت بتاريخ ١٩٨٦/١١/١١ ندوة بعنوان "هل ابدع الكتاب الفلسطينيون ادبا بحجم قضيتهم؟" ثم وفي ١٩٨٦/١١/٢٢ توجه شعراء الاتحاد الى الجولان في امسية شعرية وفي ٨٧/٢/٥ وجه الاتحاد نداء الى اتحاد الكتاب والصحفيين في الخارج بصدد عقد المؤتمر التوحيدي وبتاريخ ١٩٨٧/٢/١٠ صدرت نشرة حملت اسم "رسالة الاتحاد" وبتاريخ ٨٧/٢/١٩ عقدت ندوة بعنوان "هل يوجد ازمة في الادب المحلي؟" وفي اذار ١٩٨٧ تسلم الاتحاد رخصة "جمعية عثمانية" وشارك الاتحاد بتاريخ ٨٧/٦/١٣ في المهرجان الحاشد لكتاب وفنانيين اسرائيليين وفلسطينيين تحت شعار (ضد الاحتلال ومن اجل السلام وحرية الابداع) وبتاريخ ٨٧/٥/٢٠ عاد وفد الاتحاد من جولته الخارجية بنتائج سيتحدث عنها زملائي اسعد ويوسف. وعقد لقاء بتاريخ ٨٧/٦/٤ بين الاتحاد والوفد السوفييتي واصدر الاتحاد بتاريخ ٨٧/٦/١٣ تقريرا موجزا حول القمع الثقافي. وفي الذكرى العشرين للاحتلال البغيض واصدر الاتحاد بتاريخ ٨٧/٦/٢٥ بيانا يندد فيه باغلاق رابطة الكتاب الاردنيين ونظمت ندوتين بتاريخ ٧/١١ و ٧/١٨ حول ادب غسان كنفاني ، وندد الاتحاد في بيانه بتاريخ ٨٧/٨/٩ بجريمة اغتيال الشهيد ناجي العلي ، واقام الاتحاد وعلى مدار ثلاثة ايام (١٣ الى ٨٧/٨/١٥) المهرجان الوطني الثالث للادب الفلسطيني في الارض المحتلة ونظمت محاضرة حول فن الشهيد ناجي العلي بتاريخ ٨٧/٩/١٢ في رام الله وبتاريخ ٨٧/١٠/١٦ في ام الفحم وبتاريخ ٨٧/١٠/٢٣ عقدت الهيئة العامة اجتماعا تحضيريا للمؤتمر العام الذي تحدد بتواريخ ١٩٨٧/١٢/٢٥/١٨/١١.

خالد:

وهل لاسعد ان يحدثنا عن الهيئة العامة من ناحية العدد والتصنيف الادبي (شاعر، باحث، قاص ، ناقد..) وتوزيعهم الجغرافي.

اسعد:

يبلغ عدد اعضاء الهيئة العامة للاتحاد ٦٣ عضوا، يمكن تصنيفهم على النحو التالي:
٢١ شاعراً، ١٦ قاصاً، ٧ نقاداً، ٣ بحّاثة في التراث، ٤ بحاثة في الادب والثقافة عموماً ، ٥ يكتبون في ادب الاطفال ، و ٧ في دراسات مختلفة.

وسيم:

وماذا عن علاقات الاتحاد العربية والدولية؟

Digitized by Birzeit University Library

يوسف:

تنبه الاتحاد ومنذ لحظات تشكله الاولى الى ضرورة خلق وتوطيد اوسع علاقات تعاون مع اتحادات الكتاب العربية والعالمية وتحديدا اتحادات الكتاب في الدول الاشتراكية ، لما في ذلك من تعريف بكتابنا وادبنا من جهة والاطلاع على الاداب العربية والعالمية والتعريف بكتابها من جهة اخرى.

وقمنا بجولة شملت المانيا الديموقراطية وتشيكوسلوفاكيا واليونان ، وقمنا بتوقيع اتفاقيات تعاون رسمية مع اتحادات كتاب هذه البلدان ، ونسعى الى ترجمة بنود كافة هذه الاتفاقيات لما فيه خدمة الحركة الادبية بشكل عام .

خالد:

وماذا عن جولة اسعد الاخيرة؟

أسعد:

بناء على بروتوكول التعاون الموقع بين اتحادنا واتحاد كتاب المانيا الديموقراطية في شهر نيسان الماضي ، وجه زملاؤنا الكتاب الالمان دعوة الينا للمشاركة في مؤتمرهم العاشر ، الذي انعقد في الفترة من ٢٤ - ٢٦ تشرين الثاني الماضي ، كما وجهت الينا دعوة لحضور مهرجان الفيلم الوثائقي الثلاثين في مدينة لايبزيغ من ٢٠ - ٢٧ تشرين الثاني الماضي . وقد شاركت ممثلا لاتحاد الكتاب الفلسطينيين في كلا الفعاليتين ، وقدمت ورقة تحدثت فيها عن الواقع الذي يعيشه كتابنا ، والظروف التي يبدعون فيها. كما قمت بزيارة لاصدقائنا الحركة الثقافية لعموم اليونان ، والذين استضفنا وفدا منهم في الصيف الماضي ، حيث تربط الاتحاد بهم علاقات جيدة ، يحرص كلانا على تطويرها واستثمارها لما فيه خير الطرفين.

وسيم:

هل لكم ان تضعونا في صورة "صندوق الكاتب".

جميل:

ارتأت الهيئة الادارية - ونظرا لظروف اتحادنا المادية الصعبة وعدم مقدرتنا على تحمل نفقات النشر والاصدارات - التوجه الى الاعضاء بمشروع لتأسيس صندوق للنشر يعتمد بالاساس على طاقاتنا وامكانياتنا المحدودة ، والعضوية في صندوق النشر طوعية ويدفع المشترك مبلغا مقداره ٢٥ دينارا ولمرة واحدة ويسدد على خمسة اقساط وقد بلغ عدد المشتركين ٣٠ كاتبا ، وجرى انتخاب لجنة ادارية للصندوق ولجنة قراءة للنصوص المنوي طباعتها من اعضاء الصندوق انفسهم.

وتم وضع اسس عامة للصندوق تهدف فيما تهدفه الى تدعيم وتنظيم النشر الامر الذي يزيد من حوافز الكاتب للكتابة ، ويعني بالكلمة المطبوعة الجيدة التي تتناولها الاجيال ، ويعمل على تفعيل حركة النقد الادبي ، بالاضافة ال وضع حد لاستغلال بعض دور النشر ، والعناية بنشر الجيد من ادبنا . ويهدف صندوق النشر الى الاهتمام بشتى انواع الادب من شعر وقصة ومسرح وابحاث ودراسات وادب اطفال وادب السجون وتنشيط حركة الترجمة من والى اللغة العربية.

خالد:

ننتقل الان الى النقطة الاكثر الحاحا والنقطة الحارة ، مسألة وحدة الكتاب ، ارغب في البداية

Digitized by Birzeit University Library

الاستماع الى الشاعر خليل توما الذي طال صمته في الندوة.

خليل:

تمسك الاتحاد ومنذ نشأته بتوجهه الوحدوي رغم مقعاطعة بعض الكتاب للاتحاد. وبالتالي فان الاتحاد هو الذي قاد كافة الدعوات التي وجهت بهدف الوحدة. وكانت المبادرة دوما من قبل الاتحاد وهيئته الادارية في الاتصال بالزملاء الغير منضوين تحت لواء الاتحاد. واستفسرنا منهم اثناء اجتماعنا بهم عن لجنة العضوية وهل يعترضون عليها؟ اجابوا بالنفي واستفسرنا هل لهم ملاحظات حول البيان التأسيسي اجابوا ايضا بالنفي ، على العكس ، اجابونا ان البيان جيد وشامل ، وان كنت مخطئا في ذلك فليراجعني الزملاء الذين حضروا الجلسات . وعلى الرغم من مقاطعتهم للاتحاد فلم نقم مطلقا وفي كافة نشاطاتنا باستثناءهم وفي معظم اجتماعات الهيئة الادارية كان موضوع شمولية عضوية الاتحاد يستأثر على اهتمامنا ومناقشاتنا.

واستعرض الان ، وبصراحة ، ولشديد الاسف ما ورد على لسان بعض الزملاء من اتهام اتحاد الكتاب والزميل اسعد شخصيا بأنه "حاجز لئيم " في طريق الوحدة. وللعلم فان الزميل الذي تفوه بهذه العبارات ، كان عضوا في الهيئة الادارية وكان يستمع دوما لمناقشاتنا ثم قاطع نشاطات الاتحاد متذرعا باسباب تفهمتها الهيئة الادارية انذاك ، وتابعنا اتصالاتنا به وكنا نعلمه بما يجري ، فكيف له ان يكيل الاتهام لنا.

انا شخصيا ارتأي ان كل ما تحدثنا حوله اليوم هو جزء من حالة التشرذم القصيرة التي واجهتها الحركة الوطنية قبل المجلس الوطني الاخير ، وبتصوري اننا دخلنا مرحلة جديدة تستحق ان يتبنى الزملاء - الذين قاطعوا - تفكيرا جديدا يتناسب وطبيعة المرحلة.

خالد:

تحدثت عن اولئك الخارجين من الاتحاد ، ماذا بخصوص اولئك الذين كانوا وخرجوا ، هل كان اسهامهم في نشاط الاتحاد بارزا وما هي الاسباب التي ادت الى خروجهم؟

خليل:

يوجد العديد من الاسباب ، يقتضي الصالح العام عدم الحديث حولها.

أسعد:

بتصوري انهم يعتقدون انهم يحققون عند الطرف الاخر ذاتهم اكثر من تحقيقها في اتحادنا.

خليل:

فاتني ان اذكر ، انه في لقاءاتنا معهم ، كان الزملاء المقاطعون يطرحون ضرورة الغاء كافة الاجراءات وحل الاتحاد والبدء من نقطة الصفر. وكان طرحنا ان هذا انجازا حققناه ليس مقصورا لحساب فئة ما ، بل ابوابه ،مفتوحه على مصراعيها امام الجميع ، بدلا من ان نقوم بهدم ما بنيناه ونبدأ من الصفر ، نقدم الاتحاد هدية لكافة الكتاب واكدنا استعدادنا لتقديم استقالتنا بمجرد دخول الزملاء المقاطعين للاتحاد وتجري انتخابات ديموقراطية وليفز من يحظى بثقة الهيئة العامة وليكن من يكون.

اسعد:

عندما تشكل اتحاد الادباء ، اجابني المتوكل طه وعبد اللطيف عقل ان ما هذا الاعلان الا "فيلما" للضغط عليكم للرضوخ الى مطالبنا. ومطلبهم دخول الاتحاد من باب الرئاسة. اما المطالب التي

Digitized by Birzeit University Library

يدعون انهم يطالبون بتحقيقها ما هي الا ستار ويدعون ان الرئاسة من حقهم كما ورد في احدى المجلات المحلية لانهم القادرون ماديا.

وانني هنا ايضا استغرب ان يصل زميلنا سامي الكيلاني وبعد استعراض للهيئة العامة الى قناعة مفادها انه من حق الزملاء في مطالبتهم برئاسة الاتحاد ، في حين انه وفي حديث معنا في جلسة الحوار الاخيرة ، انه فعلا مقتنع بان الرئاسة لا تحق لهم (لاتحاد الادباء) ولكن جرت العادة ان يرأسوا المؤسسات خاصة وان لهم الامكانيات والقدرات المادية وبالتالي يجب ان يحصلوا على الرئاسة ، وحيث اننا دوما الاكثر حرصا على الوحدة فينبغي ان "نتنازل" لهم عن الرئاسة على حد قوله.

من جهة اخرى ، كنت اتمنى ان لا تصل الامور الى حد يدفعني الى الرد على زميل ، لولا الطريقة التي تحدث فيها بعض الزملاء الكتاب على صفحات الزميلة مجلة ، العودة ، واخص بالذكر عطاالله قطوش وجميل الحوساني وسامي الكيلاني ، اما عطاالله قطوش. فانا اود ان اذكره بالسبب الذي دفعه الى الخروج من الهيئة الادارية للاتحاد عام ١٩٨٦ . حين جاءنا متذرعا بتهديد السلطات الاردنية له بقطع راتبه ان استمر في اتحادنا ، وطلبنا اليه في حينه وحرصا على عدم تعرضه لفقدان راتبه الاردني ، ان يبقى في الهيئة العامة ، وقبلنا استقالته من الهيئة الادارية ، ويذكر الزميل عطاالله قطوش ما فعله بنا عندما حضرنا الى بيته في بتير بناء على موعد مسبق. وكيف انتظرناه ثلاث ساعات ولم يحضر. وحين عقدنا جلسة الحوار الاولى والوحيدة في ١٩٨٥/١٢/١٥ في مجمع النقابات المهنية ، كان الزميل قطوش عضوا في الهيئة الادارية وكان موقفه واضحا في حينه ، حيث طالبهم بالدخول الى الاتحاد دون قيد او شرط. وهو يعرف جيدا اننا لم نترك مناسبة او فرصة من اجل دعوة الزملاء للانضمام الى الاتحاد. وهو احد الشهود على ذلك. ولا بد انه لم ينس ما قاله زميلنا المتوكل طه بعد جلسة ٨٥/١٢/١٥ حين راجعته لعقد جلسة اخرى. ولا اظنه نسي ان زملاءنا كانوا يطلبون حل الاتحاد وتشكيل لجنة تحضيرية لاعادة تشكيل الاتحاد. ويذكر ايضا ان زملاءنا قاطعونا حتى انعقاد المؤتمر التوحيدي للاتحاد العام للكتاب والصحفيين في الجزائر في شباط عام ١٩٨٧ . ولا بد ان يعرف انني شخصيا كنت المبادر الى بدء الحوار حيث استجاب لذلك زميلنا المتوكل طه وعقدنا اول لقاء في بداية شهر شباط ١٩٨٧ ، ومنذ ذلك التاريخ وحتى الان عقدنا اكثر من خمسين جلسة حوار ، كنا نتوصل في بعضها الى حل كثير من المعضلات والعراقيل على طريق وحدة الكتاب ولا بد ان زملاءنا قطوش والحوساني والكيلاني يذكرون الاتفاق الذي تم التوصل اليه في ٨٧/٦/١١ ونقضه يوم ٨٧/٦/١٣ بدعوى ان زملاءه لم يوافقوا عليه. ونحن ما زلنا نجد فيه حلا معقولا .

من جهة اخرى لم يكن زملاؤنا قطوش او الحوساني او الكيلاني وحدهم من تدخل لحل الخلاف ، فهناك الكثيرون ، ابراهيم جوهر ، الياس زنانيري ، عادل الاسطة ، حسام ابو عيشة ، احمد ابو سلعوم.

اما الموعد الذي اشار اليه الزميل قطوش واتهمني انني تهربت من حضوره ، فيبدو انه نسي انني واعدته الساعة السادسة في رام الله ورغم انني مرضت في ذلك اليوم ولم احضر الى عملي ، الا انني ذهبت الى الموعد ولم يحضر احد. واتصلت به في اليوم التالي ويبدو ان الزميل قطوش نسي انه قال لي بانه كان مشغولا في قطاف الزيتون ، وطلب مني الاتصال بالمتوكل وترتيب موعد ، واتصلت بالمتوكل وتواعدنا في مجلة الكاتب ، ولكن الزميل المتوكل عاد واتصل معتذرا عن

Digitized by Birzeit University Library

الحضور لانشغاله في ذلك اليوم ، والتقينا بعدها مرات عديدة.

لا اريد الخوض في التفاصيل اكثر ، لكنني اترك لكل من حاول الوصول الى حل واتصل بي من اجل ذلك ليحكم. وبضمنهم الزميل المتوكل طه. واربأ بنفسي ان ارد بنفس الكلمات التي تحدث بها قطوش واخرون ونعتوني بها ، ولكني اذكّر هؤلاء الزملاء ان احدا لم يراجعهم لانسحابهم من الاتحاد ، فتلك قضية شخصية ، فالمرء بمفهومي ومعتقدي يبحث دائما عن انتمائه الفكري والطبقي ، ولا بد ان زملاءنا الذين انسحبوا لم يجدوا هذا الانتماء عندنا !!

واود اخيرا ان ادعو الزملاء قطوش والكيلاني والحوساني وغيرهم الى وقفة صادقة مع انفسهم ، كيف يمكن ان يفسروا لنا انسحابهم من اتحاد وضعوا لبناته الاولى وشاركوا في بنائه وتأسيسه؟! نحن لسنا ضد انسحابهم ، ولكنا ضد تبريرهم غير المنطقي لهذا الانسحاب ، الم يقل الزميل سامي الكيلاني في اخر جلسة حوار ، باننا الاكثر حرصا على الوحدة الوطنية ، ولأننا الاكثر حرصا يجب ان نخضع "لابتزازهم بالامكانيات" التي يمتلكونها ، الم يقل بان الامور في الارض المحتلة تسير على هذا النحو فلماذا نخرج على القاعدة؟! الم يقل بانهم لا يستحقون الرئاسة لهذه المؤسسة ولكننا الاكثر حرصا على الوحدة الوطنية ، ولذا يجب ان نعطيهم ما يطلبون ؟! لماذا لا نقول ذلك ونكف عن تحميل الاخرين وزر اخطائنا وعيوبنا ؟! نحن لم نتمسك بالرئاسة لكن الاخرين يصرون عليها ، ويتمسكون بتحديدها في اطارهم، من جانبنا نتمسك بمبدأ ديموقراطي يجب ان تعززه في مؤسساتنا ، فليتفضلوا الى الاتحاد ، وليوظفوا الامكانيات "المادية" التي يشيرون اليها كما يشاؤون.

محمد:

ورد في احاديثهم وما تناقلته الصحف والمجلات مصطلح "المطالب العادلة" ، اين هي المطالب العادلة لشخص خارج الاتحاد؟ هل وجهت رسائل خطية تطالب بأمر معين؟ كل ما جرى ليس الا حوارات شفوية سرعان ما يغيرون وجهة نظرهم بصددها ، وطالما انهم قاطعوا التأسيس فاين هي المطالب ، وكيف هي عادلة؟ ومن يقيم عدالتها ، ولماذا يعطي احدهم صفة العدالة وينزعها عن غيره؟

ثم كيف لشخص ان يقول تحق الرئاسة لهذا ولا تحق لذاك ، لماذا لا نحتكم الى الهيئة العامة.

ايضا قضية هامة ورد اتهام لاسعد انه يتمسك بالرئاسة ، اسعد لا يطالب بأن يكون رئيسا، ولم يكن منذ تأسيس الاتحاد رئيسا ، فان قلب الحقائق تماشيا مع مقولة "رمتني بداءها وانسلت" لهو امر بالغ الخطورة ، اسعد يقول لماذا تصرون انتم على الرئاسة ، اقنعوا الهيئة العامة بعملكم وجهدكم.

نبيل:

اود ان اضيف ، ان الهيئة العامة برمتها تقول ايضا انه لا يحق لاحد فرض الرئاسة بالاسلوب المطروح.

صبحي:

وقد عرضت الهيئة الادارية وبامانة مجريات الحوار امام الهيئة العامة ، وقررت الهيئة العامة الاصرار على ديموقراطية التعامل. وبالتالي فان اسعد ونبيل وباقي اعضاء الهيئة الادارية ينفذون قرارات وتوجهات الهيئة العامة - فكيف يصبح الطعن في الهيئة الادارية ولجنة العضوية

Digitized by Birzeit University Library

مطالب عادلة !

نبيل:

بادرنا في الاتحاد لعقد لقاءات مشتركة مع الكتاب الذين لم ينضموا للاتحاد ، وامام الاصرار والتعنت على الرئاسة طرحنا عدة اقتراحات للخروج بصيغة مشتركة انهم رفضوها وبحجج واهية واصروا على تولي رئاسة الاتحاد وامام ذلك ايضا رفضنا الخضوع لهذا النهج ، وجاء الاعلان عن تأسيس الاتحاد حلقة من مسلسل شق المؤسسات الفلسطينية الشرعية الذي درج عليه نهج اليمين ، ذلك لأن الاعلان عن تأسيس الاتحاد جاء في الوقت الذي نحن به بأمس الحاجة لرأب الصدع داخل الساحة الفلسطينية اولا ولأن غالبية المشاركين فيه وقعوا تحت اغراءات متعددة ثانيا ، وكون القصد من اقامة اتحاد الادباء هو تحقيق كسب سياسي فئوي يضع مصالح الكتاب جانبا.

ان استحداث مؤسسات مناظرة لمؤسسات شرعية قائمة تتفوق عليها بالامكانيات المادية لن يجد سبيله لدى الصفوة المثقفة في الانجرار ، لذلك فان الاتجاه اليميني باوهامه ومراهناته واخطاءه وتجاوزاته وهيمنته وتفرده يتحمل كامل المسؤولية فيما آلت اليه الاوضاع ليس في الحركة الادبية فحسب وكذلك فان انضمام ما سمي "بلجنة الكتاب الديموقراطيين" لاتحاد الادباء ساهم في توسيع الهوة وتعميق الشرخ في الساحة الادبية وفي تكريس الهيمنة ودعمها.

وفي رأينا فان الامر يحتاج الى النظر بمسؤولية كبيرة لبناء موضوعه الثقافة الوطنية بعيدا عن وضعها في قوالب ذاتية تخدم افاقا ضيقة تحمل طابع الوصاية والفئوية والهيمنة.

منطلقين من فهمنا هذا ومدركين اهمية الدور الذي يجسده الكتاب عبر هذه الجبهة - الجبهة الثقافية الكفاحية - دور التواصل البارز في التعبير الفكري والسياسي عن ارهاصات المرحلة القادمة ، دور في انهاض الروح ، ودورنا كقوة تعبيرية وتثقيفية وتحريضية للتغيير وللدفاع عن الثقافة الوطنية التقدمية . وان وحدة الكتاب تعني وحدة الضمير والكلمة والخندق الفكري الذي نقاتل من خلاله باقلامنا وفكرنا وتراثنا وحضارتنا.

وسيم:

هل من تصورات لتحقيق انضمام الزملاء الى صفوف الاتحاد؟

صبحي:

وجهة نظري . بدون تحامل على احد ، لا جدوى من اضاعة الوقت بالحديث والحوارات المتعاقبة ، لانها لن تصل الى نتيجة بتصوري مجال المنافسة واسع ، واؤكد ان الاصدارات ليست الاساس لبناء حركة ادبية قوية ، الا اذا كانت الاصدارات نوعية ، تحقق زخما نوعيا مميزا.

خليل:

اخالف الاستاذ صبحي ، اولا ارى ضرورة الاستمرار في الحوار مع الزملاء ، ارى وجود عدد من الكتاب ممن يقاطعون الاتحاد هم على مستوى جيد واكن لهم شخصيا كل الاحترام وارى ضرورة وجودهم داخل اطار اتحاد موحد. ثانيا، قد تكون مرحلة انجاز الوحدة مرحلة صعبة جدا ولكنها في نظري حتمية ولا ارى الوحدة ترفا نسعى اليه بل ضرورة للظروف التي نعيشها داخل الوطن المحتل. ان حجم الحركة الادبية ومستوى كتابها متواضع ونسبيا وبالتالي فان من الضروري تجميعها لتتفاعل وتغني بعضها بعضا عسى ان نقدم شيئا افضل . انني ادعو الزملاء الذين

Digitized by Birzeit University Library

يقاطعون الاتحاد ان يعيدوا النظر في رؤياهم جذريا. واذا تعذر انجاز مثل هذه الوحدة حاليا فيمكن كمرحلة تمهيدية ولبناء جسور التفاهم والثقة من جديد ان يصار الى :

- تشكيل لجنة لتنسيق النشاطات الثقافية المشتركة داخل الارض المحتلة ريثما تتوفر تربة افضل لانجاز الوحدة الكاملة ، هذا مع قناعتي الشخصية الاكيدة بان اتحاد الكتاب هو الاساس وهو الذي يتمتع بشرعية تفرضها نوعية وعدد الكتاب المنضوين تحت لوائه وديموقراطية بنائه دون الانتقاص من الزملاء الاخرين المقاطعين..

اسعد:

لن نسمح لانفسنا كاعضاء هيئة ادارية ولغيرنا ايضا الخروج على قرارات الهيئة العامة للاتحاد ، وفي كل خطوة نخطوها يجب ان نرجع للهيئة العامة ونلتزم دوما بقراراتها.

خالد:

اسمحوا لي في النهاية ، ونيابة عن زميلي وسيم ان اشكركم جميعا ، واتمنى لاتحاد الكتاب الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة التقدم كل التقدم لما فيه خدمة الادب والاديب الفلسطيني.

Digitized by Birzeit University Library

حوار مع الكاتب الكبير

اميل حبيبي

ارتأت هيئة تحرير مجلة "الكاتب"، ان تلتقي الكاتب والاديب الفلسطيني اميل حبيبي، في عددها الثالث والتسعين ، مع بداية العام الجديد ، تعبيرا عن المكانة الخاصة ، التي حظي بها كاتبنا الكبير ولا يزال ، في حياة الادب والثقافة الفلسطينية والعربية.

في مكتبه بجريدة الاتحاد ، في مدينة حيفا، التقيناه ، ودار حديث طويل ، تناول بعض هموم المثقف الفلسطيني ، الا ان الحديث عن رؤية اميل حبيبي الى اللغة والتراث ، والتجربة الغنية التي انعكست في اعماله الادبية ، كان لها الحظ الاكبر من النقاش ، وكان هذا الحديث:

الكاتب: الوعي بالتاريخ،جعل اللغة عند اميل حبيبي ظاهرة معينة ، لم يمتلكها احد في العالم العربي ، بالشكل المتوفر لديه ، هذا الوعي بالتاريخ ، الذي اوجد المعادلة التي دفعت عددا كبيرا من الادباء في العالم العربي الى التحدث عن المعاصرة ، والسلفية،والاصالة، الملاحظ ان لغة اميل حبيبي، استطاعت ان تكون جسرا بين الثقافة العربية ، وان تستخدم اللغة العربية استحداثا جديدا يتفجر من داخلها نفسها ، فهل بالامكان ان نتحدث عن اللغة عند اميل حبيبي.

اميل حبيبي:

عوامل عديدة اجتمعت لتثير هذا الاهتمام الذي يبدو في اعمالي ، قضية اللغة ، وبالطبع المقصود اللغة العربية ، وعلى رأس هذه العوامل ، الشعور الذي انتابنا مباشرة بعد نكبة عام ٤٨، بالخطر الجدي الذي يهدد لغتنا وتراثنا منذ قيام اسرائيل ، واذكر في السنوات الاولى ، كيف عشنا في قطيعة شبه تامة عن الحياة الادبية والثقافية ، مضاف اليه واقع ما ادت اليه النكبة من مظاهر انقطاع العطاء الطبيعي الثقافي للشعب العربي الفلسطيني. حتى اننا اضطررنا في ذلك الوقت ان نعيد طباعة بعض الكتب الكلاسيكية المتوفرة لدينا منذ القدم مثل كليلة ودمنة ، ومن بقي من الملمين باللغة العربية وبقواعدها كان قليل العدد جدا وشعرنا بهذا النقص المؤلم ايضا عندما واصلنا اصدار جريدة الاتحاد ، تعرفون الوضع الذي كان قائما قبل نكبة ١٩٤٨، والمتعلق بقلة عدد الملمين في قواعد اللغة العربية ، ولكن هذا النقص الذي هو ظاهرة في كل البلاد العربية وحتى يومنا هذا اصبح مأساة ، في ظروفنا نحن الذين بقينا في بلادنا التي أصبحت فيما بعد دولة اسرائيل ، فقد كان على سبيل المثال في اوساطنا السياسية المحدودة عدد الذين يستطيعون ان يكتبوا بلغة عربية سليمة الى حد ما - لغة الصحافة ، معدودا على اصابع اليد الواحدة.

الامر الثاني السياسة الصهيونية الحاكمة التي انتهجت بدم بارد نحو اولا تجاهل تراثنا ووجود تراث عريق لنا ، ثانيا القضاء على معالم هذا التراث في جميع مناحي الحياة، وربما سمعتم

Digitized by Birzeit University Library

عن كلمة وزير المعارف سابقا يغثال الون الوحة حين قال "لو كان موجودا في هذه البلاد شعب فلسطيني لكان خلف وراءه تراثا، فاين هو تراث الشعب العربي الفلسطيني ، صحيح فيما بعد اقمنا ضجة حيال هذا الكلام العنصري الوقح ، الصادر عن جهل مطبق بالمكتسبات الانسانية ، مما اضطر الون الى الاعتذار عن هذا الكلام ، ولكن هذا الانطباع المدبر بقي قائما واستمر باشكال مختلفة ، والهدف هو القضاء على الوجود العربي الفلسطيني في هذه البلاد ، وفرض المقولة الصهيونية الشهيرة ، عن شعب بلا وطن يعود الى بلاد بدون شعب ، هذه المقولة الصهيونية الكاذبة والمغالطة ، فمنذ بدء الاستيطان الصهيوني ، واجه اصحاب هذه المقولة نقيضها، وحاولوا دائما اثباتها باقتلاع اهل البلاد من وطنهم ، وكان علينا ان نتصدى لهذا النهج ، في جميع المجالات ، من النساء والامهات اللواتي كن يقذفن باجسادهن امام عجلات سيارات الترحيل التي كانت تأتي لترحيل ابنائهن وازواجهن ، حتى تراثنا والدفاع عنه والتصدي لكل محاولات تلويثه ، مرت بنا ايام كان ممنوعا على طلاب المدارس العرب ان يتعلموا في مدارسهم.

عليك السلام يا ارض اجدادي

كان يوجد طلاب ومدرسون ، يتحدون هذه الاوامر وبالتالي يتعرضون للاعتقال والطرد من وظائفهم جراء ذلك التحدي ، ربما يبدو الامر سطحيا ولكن لا بأس من ذكر انني اعتقد ان الدوائر الحاكمة كانت تلتجيء الى الركاكة في ترجمة اسماء الشوارع والقوانين وحتى الاذاعات في باديء الامر ، لا عن عجز، عن استعمال اللغة الصحيحة ، وانما عن قصد تجاوزنا كل هذا الان ، تجاوزناه بالعمل الدؤوب السياسي والثقافي والاجتماعي وفرضنا على المؤسسة الحاكمة احترام تراثنا ولغتنا ،وكرامة شعبنا.العامل الثالث، في قضية تعاملنا مع اللغة العربية ، هو محاولة الرد ، الرد الموضوعي الصحيح على دعاوي المستشرقين الغربيين ، ان العرب لم يتميزوا الا بعلم الكلام ولم يطوروا من الفنون سوى اللغة والخط، ومن هذه النظرة السطحية تفرع العديد من الدعاوي المغرضة ، وذات النوايا السيئة ، وعلى رأس هذه الدعاوي ان الشرقيين والعرب على وجه الخصوص ، لا يحسنون سوى الكلام ، اما التنفيذ والفعل فلا يحسنونه ، وفيما بعد واستفادة من هذه النوايا المغرضة، رفع ملوك العرب وامراؤهم ورؤساؤهم عام ١٩٤٨ الشعار الكارثي - تكلم السيف فاصمت ايها القلم - وكان غرضهم كما ظهر حالا هو بيع قضايانا القومية دون ان يمكننونا من مجرد التأوه والصراخ.

ان ملكة النطق هي اول مكاسب الانسان حين اصبح حيوانا اجتماعيا وتطور اللغة العربية هو التعبير المباشر والاوضح عن تطور الحضارة في بلادنا ، ومن المستحيل تصور اي نشاط اجتماعي ، سياسي ، علمي، اي تقدم للامام في وجه العقبات للتخلص من الطغيان وبتحقيق التحرر، بدون اللغة ، ومما لا شك فيه ان المجتمعات العربية عبرت على حقب من منع تطورها ، واعداء التقدم دائما ابتلوا الشعوب العربية بمنعهم من النطق. ليس الواقع اننا نكثر من الكلام . بل الواقع اننا ممنوعون من الكلام ،مئات من اعوام الصمت فرضت علينا ، على شعوبنا ، وحتى يومنا هذا ، على الرغم من تجاوزنا حواجز الخوف من القمع لا نزال محدودي القدرة على النطق بمختلف القيود التي فرضها المستعمر الاجنبي والانظمة البائدة على شعوبنا . يقينا ان اوضاعا معينة نشأت في التاريخ العربي والاسلامي ، جعلت اللغة المتنفس الوحيد - تقريبا - عن العديد من الفنون مثل الرقص والموسيقى والمسرح واذا ربطنا اللغة مع الخط نضيف الى ذلك الرسم ،

Digitized by Birzeit University Library

وهذه الحاجة الاكراهية ، ادت الى تطور متميز للغة العربية ، الى اغناء خاص للغةالعربية، وقد يكون مستشرقون غربيون قد انتبهوا قبلنا الى ما تحتويه هذه اللغة في باطنها من اسلحة متميزة ، لذلك حاولوا تشويه هذه الحقيقة ، والحديث عن اسلوب الشرقيين والعرب ، والخيال الشرقي، والفانتازيا الشرقية وكل ذلك في الواقع ليس مثلبة، انما هو مكاسب خاصة والاداب الغربية تعترف بكل احترام بالدور الانقلابي الذي ادته الترجمات الاولى لكتاب الف ليلة وليلة مثلا ،الان يأتي في بالي تشبيه لهذا الكنز المكتسب عبر العصور وهو اللغة بالنفط لا احد ينكر ذلك. وكما سرق المستعمرون الاجانب كنوز بواطن ارضنا ويمنعوننا من الاستفادة منها . كذلك حاولوا ويحاولون اغلاق منافذ هذا الكنز في وجوهنا.

الكاتب: عرفت اللغة العربية ، لغة الشعر ، وقد قيل ان الشعر ديوان العرب،جدت على اللغة العربية فنون جاءتنا من الغرب خاصة القصة القصيرة والرواية ، سؤالي الى اي مدى استوعبت اللغة العربية هذه الفنون الجديدة وخاصة الرواية ، على ضوء ما يقال احيانا من ان الالفاظ في الشعر تستعمل دائما استعمالات جديدة ثم الى اي مدى تمثل ذلك في نتاج اميل حبيبي، وفي النتاج المحلي في الداخل ، ويتبع ذلك ايضا الى اي مدى يطلع اميل حبيبي بشكل متواصل او غير متواصل على النتاجات التي تصدر في الارض المحتلة ايا كان مستواها ، وما رأيه بها ؟

اميل حبيبي:

سيكون جوابي اختياريا، ولا يمكن الا ان يكون كذلك.

اولا نعود الى اللغة العربية،

اخذت وأخذ على كتابنا وادبائنا، انهم لا يعتنون بلغتهم انهم يركضون ، وجهت هذه الملاحظة مرة الى كتاب فلسطينيين في الخارج اعترفوا بذلك ، وكان عذرهم ، انهم يريدون ان يقدموا ما يرغبون في تقديمه خوفا من الموت ، كل الاحترام لهذا العذر ، ولكن لا يستطيع كاتب مصري مثلا ان يلجأ اليه ، وحال الكتاب المصريين في هذا المجال اسوأ من حال الكتاب الفلسطينيين ، اللغة العربية وجدت انها مرت على مراحل ، بمراحل الازدهار الحضاري النسبي ،كانت لغة دقيقة وفي مراحل التراجع ، ضاعت الحدود بين الاسماء والنعوت والكلام . فلماذا لا نلجأ الى القاموس والى الموسوعات المصنفة ، حين نحرر ما نكتب ، لماذا لا نحرر ما نكتب ، تعلمت عن الكتاب الاوروبيين انهم ايضا كانوا يحررون ما يكتبون ، دون كيشوت استغرق من كاتبه ٢٣ عاما ، هنا تأتي القضية المعاشية ، الكاتب عليه ان يجد طريقه دون التنازل عن ادواته ولا عن مضامينه، لسنا في عالم ماض، حين كانت الثقافة ملك الاوساط العليا فقط في المجتمع ، وحتى في ذلك الوقت ، ظهرت ظاهرتان ، كتاب متحررون خرجوا من الاوساط العليا ، وكتاب عمالقة استطاعوا ان يتجاوزوا ضائقة العيش ، فما بالنا الان ، لماذا كان على كاتب مصري مثلا ، لا داعي لذكر اسمه ، ان يتباهى بأنه انهى رواية يزيد عدد صفحاتها على الخمسمئة صفحة خلال عشرين يوما قضاها على "البلاج".. كاتب اخر مرموق كتب مذكراته عن حصار بيروت ، بعد انتهاء حصار بيروت ، رواية صحيحة ، ولكن كيف يسمح لنفسه بأن يصدرها بدون الحد الادنى من التنقيح ومراجعة اللغة ، في اميركا واوروبا ، دور النشر هي التي تحرر الروايات ، ولكنها لا تصدر بدون تحرير.

هذا اولا ، ثانيا الرواية الاوروبية القصيرة تطورت في مراحل حضارية معينة واسهمت في اغناء وتطوير الثقافة في العالم كله ، لا يمكن نقل اساليب ومضامين الرواية الاوربية القصيرة

Digitized by Birzeit University Library

نقلا اوتوماتيكيا، الى مجتمعات لم يتضح فيها التطور ، او لم يكن مشابها لنفس التطور الذي نشأت فيه الرواية الاوروبية ، ممكن الاستفادة من المنجزات ، ولكن لا يمكن التقليد خصوصا الحضارة الاسلامية ، حضارة شرقنا ، عبرت على مرحلة تطور معينة ادت الى نشوء النثر المتطور وما قيل عنه السهل الممتنع، والسهل الممتنع هو مضمون اداة القصة الاوروبية القصيرة . بما في ذلك انواع من القصة القصيرة ، ذات المتميزات العربية الخاصة في التراث الكلاسيكي، انا اعترف انني حتى الان الا بالشاذ النادر لا استطيع ان اقرأ الرواية القصيرة او الاطول قليلا من القصيرة الا بالانجليزية، من الممكن ان اعد الروايات العربية التي قرأتها وهي لا تتجاوز عدد اصابع اليدين، ولكني اقرأ بالتذاذ، واستيعاب واعيد قراءة الكتابات الكلاسيكية العربية ، مرات ومرات.

اكتشفت ان هذا الاسلوب ، اسلوب تطوير التراث والاعتماد على التراث عن طريق اخر ، طريق التحدث الى الجماهير ، نحن نشأت لدينا اذواق متميزة خاصة ، في استيعاب الموسيقى ، الفنون ، اذا اردت ان تصل الى قلوب الناس لا يمكن ان تحدثهم عن عولس ، ونحن لسنا بحاجة الى عولس، ومن بينهم عولس ، وكل الاحترام لبيتهوفن، لكن لكل شعب .ذوقه الخاص ، والتعامل مع الجماهير يحتاج الى حكم ، واستعمال التراث ، واكتشفت هنا اهمية السخرية ومن الممكن كتابة مقالات طويلة في دور السخرية، هذا السلاح المباشر النفاذ والذي يصعب على المؤسسة الحاكمة ، ان تقمعه ، خذوا تاريخنا وتراثنا ، كثير من الاعمال الادبية اندثرت، اعمال المعارضة للسلطة الا رسالة الغفران ، لا يستطيع احد ان يقمعها.

القصة القصيرة تطورت في تراثنا ، وهذا علينا ان نتعرف عليه ، وخصوصا تطورت في كتابات المغرب العربي ، وخصوصا في الاندلس ، والالتجاء الى مكتسبات تراثنا ،المكتسبات المصنفة ، لا يعني النظرة السلفية ، والا كان علينا ان نلغي مكتسبات لغتنا كلها حتى لا نكون سلفيين ، هذا الصراع بين السلفية وبين غيرها ، ربما تكون الحاجة اليه موضوعية في هذا البلد او ذاك اما انا فلا حاجة لي بها ، ولا اشعر بها.

الكاتب: انا لا أحس ان اميل حبيبي سلفي باي شكل من الاشكال في كتاباته ،هو يهشم اطار اللغة ، وبخروج لغة جديدة اكثر قدرة على التعبير عن واقع تاريخي متحرك بالنسبة لنا، ونحن نلاحظ ان الكتاب الذين حملوا هما اجتماعيا معينا ، لجأوا الى هذا الشكل من اللغة، وهو ماأطلقت عليه "السهل الممتنع"، وهذا بحد ذاته مرتبط بالوعي التاريخي ، مرتبط بالوعي السياسي المعين لدى هؤلاء وكذلك اميل حبيبي.

اميل حبيبي:

انا اعتبر نفسي ثوريا طليعيا ، ويزداد اقتناعي بعد مرور هذا العمر الطويل ، ان الموقف الطليعي لا يمكن الا ان يعكس اثره على كل مناحي الحياة للشخص المعني، في نهاية الامر، مع العمر والتجربة لا يمكن الا تصبح عملية غير ارادية ، وانا احاول في الادب ان احطم قيودا متعارف عليها .واتمنى اتمنى الخوض في بحور غير مطروقة ، انجح مرات وافشل مرات ، مثلما احب ان استكشف مسيرة المستقبل في السياسة والاجتماع ، احاول ان استكشف مكنونات جديدة ، انا موجود في نهج سياسي وفكري هو نهج للفكر الثوري ، وهذا يعكس ايضا توجهي في العمل الادبي ، هو انعكاس للفكر الثوري . نحن تخلصنا الان من التقسيم الذي كان في اذهاننا خطأ بين المضمون

Digitized by Birzeit University Library

والشكل ، فالامران مرتبطان ارتباطا عضويا ، كان في يوم مضى مقبولا، ان يظهر انسان موسيقي يعمل على السليقة دون ان يتعلم قراءة النوتة ، لكن الان في مواجهة مكتسبات الحضارة والتعامل معها ، شخص غير ملم بقواعد الموسيقى لا يمكن ان يظهر ، واذا ظهر فلن يكتب له النجاح او حتى الاستمرار.

واما قضية استعمال اسلوب العامة ، فهي قضية اخرى ، مما شك فيه ان احد اعمدة الرواية العربية هو نجيب محفوظ ، وهو احسن الالتجاء الى العامية في الحوار ولا يمكن عندما نكتب الرواية الطويلة في الادب الواقعي الا ان نلجأ الى الحوار بالعامية ، ومن مدى دقة العامية تظهر عظمة العمل الادبي ، برنارد شو كان ينطق شخصيته بلهجة الحي الذي ينتمي اليه ، بشكل ناجح ، فقد كان ملما بكل اللهجات ، وهذا ما ينقصنا، ولذلك ، حين اكون متأكدا من نفسي اسمح لنفسي باستعمال اللهجة العامية، اما اللهجة العامية المصطنعة فهي سقوط بالعمل الادبي .

اللهجة العامية نقل واقعي جدا للحوار، ولكن هنا تظهر الصعوبة، فاما ان تستعملها كما هي ، واما ان تهرب منها ، وانا اهرب منها ، اسمح لنفسي ان اقول ، بين كتابنا وادبائنا ، انا الكاتب الوحيد الكاتب المديني، انا احسدهم ، وهم يحسدونني على الكتابة عن المدينة ، هذا الواقع موجود هنا ، ولا اعرف الواقع في الضفة والقطاع او في الدول العربية. بالنسبة للفلسطينيين.

الرأى والرأى الآخر !!

Digitized by Birzeit University Library

"كتاب قرأته"

منهج الواقعية في الابداع الادبي

للدكتور صلاح فضل

مراجعة : صبحي الشحروري

يتألف الكتاب من مقدمة واربعة فصول هي :

١) الفصل الاول - وجوه الواقعية.
٢) الفصل الثاني - الاسس الجمالية للواقعية.
٣) الفصل الثالث - الصراع الجدلي والحصاد الاخير.
٤) الفصل الرابع - تنويعات اقليمية.

وهناك قائمة بالمراجع الاجنبية وكلها بالفرنسية . يقع الكتاب في ٣٢٠ صفحة من القطع الكبير.

المقدمة

في المقدمة يشير الكاتب الى تميز الواقعية عن غيرها من المذاهب الادبية بعدة خصائص يبرز منها ما يلي :

١ - انها من اشد المذاهب حيوية واطولها عمرا . فقد عاصرت الرومانتيكية وورثتها وشهدت الطبيعية وتجاوزتها ، دون ان تفقد قدرتها على التجدد وامتصاص ما هو صائب ، مما جعلها تتمتع بنزعة مستقبلية اصيلة .

٢ - لقد تجاوزت نشأتها الاوروبية واصبحت ذات صبغة عالمية شاملة "بينما ظلت الكلاسيكية حبيسة الواقع الاوروبي الذي توفر بالجهد على احياء الادب الاغريقي" ، في حين تأزم المشكلة الفردية في ظل الاوضاع السائدة في اوروبا في القرن الماضي.

Digitized by Birzeit University Library

ولعل السر في ذلك هو اعتمادها على مبدئها الاساسى في الانعكاس الموضوعي وتمثل الادب للواقع ، وهكذا تجاوزت الحدود الاقليمية والتاريخية وامكنها ان تنتقل بشكل او بآخر الى معظم بقاع الارض.

٣ - قدرتها على التحول من المذهب الى المنهج ، فهي تتجاوز النسبية لتصبح منهجا حرا في الابداع الفني ، مرنا وقادرا على استبصار المستقبل.

لم تظفر الواقعية في البلاد العربية بدراسة منهجية معمقة رغم كثرة ترديد النقاد لهذا المصطلح . وقد اقتصرت الاشارة الى الواقعية على تيارين :

الاول : يعرض لها بشكل متبسر ويخلط بينها وبين الطبيعية التي تتسم بالتشاؤم .

والثاني : يغرقها بالحمام الايديولوجي الماركسي بطريقة مذهبية متعصبة ، متجاهلا انتصار الواقعية النقدية في الاداب الغربية والعربية على السواء.

الفصل الاول

وجوه الواقعية

نشأة المذهب الواقعي وتطوره

استخدم هذا المصطلح في الفلسفة قبل استخدامه في الادب كمعارض للنزعة الاسمية وكمقابل للمثالية .

اما في الادب فيبدو ان الالمان كانوا اسبق من الفرنسيين باستخدامه.

ولم يحدد معنى الواقعية الا على يدي "شامفلوري" الذي كان يعني بالواقعية التمثيل الدقيق للعالم الواقعي ، اي دراسة الحياة من خلال الملاحظة الدقيقة والتحليل المرهف بصورة موضوعية خالية من العواطف والنزعات الشخصية ، وذلك في منتصف القرن الماضي.

غير ان الواقعية اصبحت شعارا لكثير من الكتاب قبل هذا الزمن بكثير ، في الجيل الاول ستندال وبلزاك ، وفي الجيل الثاني فلوبير رغم انه يغرق اعماله في التفاصيل الدقيقة المملة.

وتعد مقدمة بلزاك التي كتبها عام ١٨٤٢ لكتابه كما كانت مقدمة "كرمويل" ل "فكتور هوجو" في اعلان الرمانتيكية ، "بلزاك" نقل مركز الثقل من المسرح الى القصة ومن الخيال الى الملاحظة وحمل الكاتب مسؤولية مباشرة عن اهم واعمق جوانب الحياة الفكرية .

ومن فرنسا انتقل تأثير الواقعية الى انجلترا واميركا . اما في روسيا فقد استخدم هذا المصطلح في ستينات القرن الماضي . وقد رفض "ديستويفسكي" الطبيعة الفوتوغرافية للواقعية ، ودافع عن اهتمامه بالعناصر الخيالية ، وادعى انه واقعي لانه يصور اغوار النفس البشرية .

اما "تولستوي" فقد هاجم منهج "فلوبير" وامتدح "موباسان" وقد اعتبرت اعمال "تولستوي" من اهم نماذج الواقعية.

ويرى "بودلير" وهو رومانتيكي ان الرومانتيكية احدث من الواقعية ، ويرى الرومانتيكيون ان الاشتراكية - احد اوجه الواقعية - تضفي على البطل صبغة رومانتيكية مميزة.

وهناك من يرى ان الواقعية ظهرت في فرنسا اولا لان الفرنسيين مولعون بنقد ذواتهم ، كما ان الادب الفرنسي عني بدراسة الفرد المنعزل قدر ما عني بالمجتمع كوحدة متكاملة .

ولاسبانيا حظها من الواقعية ، فهناك قصص الشطار والصعاليك من جهة . وهناك "دون كيخوته" رائعة "سرفانتيس" والتي جمعت

Digitized by Birzeit University Library

الرومانتيكية في شخص "دون كيخوته" والواقعية في شخصية "سانشو بانثا".

اما في مجال النقد فقد كان الاتجاه الاجتماعي هو الاب الشرعي للواقعية ومن ابرز نقاد الواقعية "تين" الذي تناول اعمال "بلزاك" بالنقد وتأثر بالطريقة الديكارتية في البحث ، وهناك من يرى فيه ابا للنظرية الواقعية كما ظهرت عند "لوكاتش".

وقد تبلور اتجاهان في الواقعية هما الواقعية الغربية والواقعية الاشتراكية .

الرؤية الغربية للواقعية النقدية

اخذت الفنون الرفيعة في ظل الرأسمالية شكل المعارضة والتمرد، غير ان لدى النقاد الغربيين قصورا في فهم الواقعية ، اذ اقتصروا على وضعها في اطار تاريخي مقابل للرومانتيكية . اي ان الاشتراكية لم تنفرد ببعث الواقعية بل ساهم بهذه المهمة كبار المبدعين في الغرب.

وقد اتهم "ويليك" الواقعية بانها تنطوي على نزعة تعليمية ودعوة للاصلاح الاجتماعي . وادعى ان الواقعية الاشتراكية لم تعد مصطلحا روسيا وانما دخلت تاريخ الادب العالمي كله.

وفي رأي الواقعيين النقديين ان الواقعية مصطلح فترة محددة سيموت وترثه مدارس كالرمزية والرومانتيكية الجديدة .

والكاتب يعارض هذا الاتجاه ويرى ان للواقعية اوجه تجددها كما عند "فوكنر" و"همنجواي" و"ارثر ملر".

ويعاود خصوم الواقعية الهجوم عليها متهمينها بانها دعاية يختلط فيها الابداع بالصحافة ، وان كبار الكتاب تجاوزوها حتى نجحوا.

ويرى الكاتب ان هذا غير صحيح بل ان الرومانتيكية نفسها امتزجت بنلتاجات واقعية كما عند بيرون.

وفي روسيا اخذت الواقعية اشكالا متنوعة فمن الصعب حصر نتاجات "جوجول" و"تورجنيف" و"تولستوي" وغيرهم في اطار واحد.

ويزعم المؤلف ان "لوكاتش" هو اعظم ناقد ادبي فلسفي في العصر الحديث ، وبفضله سيطرت الواقعية الاشتراكية ، بعد ان وصلت الى قمتها وحتفها في ان واحد في كتابات تشيخوف الاسرة البساطة، وهذا سر قول "جوركي" بان تشيكوف ذبح الواقعية النقدية .

اصول الواقعية الاشتراكية

الواقعية الاشتراكية ليست وجها بريئا من اوجه الواقعية ، فهي تستند الى اساس ماركسي واضح . هناك من قدسها ، وهناك من كره الواقعية كلها لاجلها وهناك من وقف منها موقفا موضوعيا . ويزعم المؤلف انه يستند الى كتابات "ماركس" و"انجلز" اثناء الحديث عنها.

والمؤلف يشرح النظرية المعروفة حول تصادم قوى الانتاج الجديدة مع علاقات الانتاج القديمة ، مما يؤدي الى تغير الاساس الاقتصادي كبنية تحتية والبنى الفكرية العليا بالتالي ، غير انه يشير الى ان الروابط بين البنيتين لا تتضح للوهلة الاولى بسبب وجود عوامل وسيطة وان الصلة لا تتضح الا في التحليل الاخير.

ويزعم الكاتب ان هذا التحديد الي ، وان كثيرا من خصائص البنية العليا الثقافية يستمر رغم اختفاء اساسها الاقتصادي فكان لها صفة الخلود.

والمهم ان الافكار لا تولد افكارا اخرى لكن تغييرات الظروف الواقعية للانسان هي التي تحدد التطور الثقافي.

ويستشهد الكاتب باراء لانجلز وماركس

Digitized by Birzeit University Library

تنفي ان يكون العامل الاقتصادي هو المؤثر الوحيد في الفكر ويدعي ان الشراح هم الذين اساءوا استخدام النظرية.

ولتوضيح علاقة الاساس الاقتصادي بالفكر يشير المؤلف الى قانون "العصور الطويلة" حيث يظهر التوازي بين الاقتصاد والفكر فعلا . ولكن هذا التوازي لا يظهر في سيرة الكاتب الواحد لقصرها وحسب مبدأ "العصور القصيرة".

ويشير الكاتب الى صراع الطبقات وعلاقته بالفكر على اساس ان الطبقة المسيطرة تقدم مصالحها على انها المصلحة العليا . ويدعي الكاتب ان الفن في بعض عصور ازدهاره لا يرتبط بالتطور العام للمجتمع . ويتساءل : لماذا نستمتع بفنون من نتاج عصور اخرى كالفن الاغريقي ؟

والجواب الماركسي على هذه التساؤلات اننا وان كنا لا نستطيع ان نعود الى طفولتنا الى ان هذا لا يمنع ان نستمتع بسذاجة الاطفال.

ووفقا للماركسية ينبغي ان تنطلق التجارب النقدية من النص نفسه حتى لو بدا النقد وكأنه انطباعات شخصية.

ويتولى الكاتب عرض اراء انجلز في الالتزام والاستلاب . فالاتجاه في الادب لا بد ان يكون نابعا من الموقف والاحداث نفسها بدون ان يشار للموقف بشكل مباشر ، لا بد من الوصف الواقعي وذلك لهز تفاؤل العالم البرجوازي.

والالتزام يأتي احيانا عفويا موضوعيا لا يخضع للرأي الشخصي . ويشير انجلز الى بلزاك الذي كان يتعاطف مع الطبقة المنهارة ومع ذلك فهو يسخر من النبلاء الذين كان يتعاطف معهم . ثم يشير الى الاستلاب ، غربة العامل عن انتاجه وعن عملية الانتاج نفسها . وانسلاخ الانسان عن الطبيعة وانسلاخه عن نفسه. ويرى ان ثورة ١٩١٧ لم تستغن عن المتخصصين البرجوازيين واستمر هذا الوضع حتى عام ١٩٢٢ عندما اطيح بكل الجمعيات الادبية . وانشيء اتحاد الكتاب السوفييت كسلطة ادبية وحيدة.

وفي عام ١٩٣٤ جرى تكريس الواقعية الاشتراكية كنظرية ادبية وحيدة ، وينسب المؤلف الى "جوركي" (رئيس اتحاد الكتاب) انه حاول تلطيف الصبغة الرسمية المتشددة في هذا الاعلان . والواقعية الاشتراكية ركزت على القصة اكثر من الشعر . وفي رأيها ان الشعر يجب ان يعكس التحام العنصر النضالي بالعنصر الشخصي . وايثار النثر جاء بسبب من طبيعة الشعر العفوية.

ويرى المؤلف ان اخر صياغة جمالية للواقعية الاشتراكية وردت في المعجم الجمالي الروسي ١٩٦٥ . وجاء به :

" ان الواقعية الاشتراكية منهج فني يتمثل جوهره في الانعكاس الصادق المحدد تاريخيا للواقع في تطوره الثوري / اي فن مسيرة المجتمع نحو الشيوعية".

الفصل الثاني

الاسس الجمالية للواقعية

اتجاهان في الفكر الجمالي

الاتجاه الاول : يمثله "لوكاتش" وهو في نظر الكاتب المنظر الاول للواقعية في القرن العشرين . اما الاتجاه الثاني : فانه يستلهم اعمال "بريشت" في المانيا واعمال "اراجون" في فرنسا وقد عززته دراسات "جارودي" ، وقد وجد في "ارنست فيشر" التعبير المتكامل عن خطوطه العامة خاصة في دراساته التطبيقية وكتابه النظري عن الفن.

والخلاف الرئيسي بين الاتجاهين يدور حول طبيعة الفن ووظيفته . ففي المدرسة الاولى ـ الفن ليس سوى صيغة من صيغ المعرفة ، انعكاس للواقع الموضوعي . اما عند "فيشر"

Digitized by Birzeit University Library

فالممارسة هي منبع المعرفة ، والفن طبيعة من صيغ العمل بالدرجة الاولى ، وبهذا الاعتبار فحسب قد يتضمن شكلا من اشكال المعرفة.

وقد عارض "بريخت" نظرية المحاكاة الارسطية واطلق على محاولاته في البحث في "كتابات عن المسرح" اسما هو "علم الجمال غير الارسطي".

ان الخلاف في تصور طبيعة الفن اختلاف في تقدير وظيفته . فاذا اعتبر الفن صيغة للمعرفة فان معياره الاول سيكون الشمول كما عند "بلزاك" الذي مدحه "لوكاتش" ، في حين ادان "كافكا" لانه جزئي وتجريدي ، في حين ان "فيشر" انصف كافكا وربط بينه وبين "بريشت" من حيث نزعتهما لبناء الواقع عن طريق الامثولة.

اما الخلاف الثاني ، فهو ان الفن ان اعتبر صيغة من صيغ المعرفة فان وظيفته تنحصر في التعليم ويقل اهتمامه بالابداع . واصحاب الاتجاه الثاني لا ينكرون دور الفن كمعرفة ولكنهم يريدون واقعية بلا حواجز وليس واقعية بلا مبادىء، كما يرى صاحب هذه النظرية "روجيه جارودي".

واذا كان الفن عند فيشر صيغة من صيغ العمل فاننا نتصوره ابداعا اولا وليس محاكاة للطبيعة، وتصبح رسالة الفنان البحث وليس التعليم.

وقد اراد "لوكاتش" للكاتب الالتزام بمبادىء التقدم والديمقراطية ، اي ان يظل الكاتب على ارض اللعبة مناضلا من اجل الديمقراطية الثورية ، ولذا فقد هاجم وسائل الابداع الجديد التي دعا لها "بريشت" . اما "بريشت" فقد دافع عن مدرسة تيار الوعي كما عند "جويس" ، كما دافع عن الفن التجريدي الذي يمثل اخيلة غير قابلة للتحديد ، وقد اتهم "بريشت" "لوكاتش" بالشكلية واتهمه بانه يطبق النظرية على الواقع ويقص زيادات الواقع على النظرية مثلما يفعل شارلي شابلن بحقيبته التي لا تتسع للابسه.

من المحاكاة الى الانعكاس الموضوعي

كان افلاطون اقل تقديرا للادب ، لان الادب تقليد للطبيعة والطبيعة بدورها مجرد محاكاة للمثل الجوهرية. اما ارسطو فقد اعتبر الطبيعة هي الواقع الحقيقي . ورأى الفن محاكاة للطبيعة اي محاكاة الواقع الموضوعي وليس الافكار المثالية "وقد تأثر الكلاسيكيون بنظرية ارسطو وطبقوها بحرفيتها" اما الواقعيون فقد بلوروا فكرتهم عن العلاقة بين الواقع والفن مستخدمين مصطلحا خاصا بهم هو "الانعكاس".

وليس انعكاس الحياة في الادب امرا ميسورا . ومن هنا تأتي صعوبة الواقعية . ويعتبر"تين" رائدا من رواد الواقعية ، غير ان منظر الواقعية الاقوى هو "لوكاتش" الذي يرى ان نظرية الانعكاس تمثل المبدأ المشترك لكل صيغ السيطرة النظرية والعملية على الواقع من خلال الوعي الانساني ، وما هدف البحوث التفصيلية الا تحديد الخواص النوعية للانعكاس الفني داخل نظرية الانعكاس العامة . ولا يتوفر الامل الدقيق المتعمق لنظرية الانعكاس الا من خلال المادية الجدلية . وقد هاجم "لينين" خصائص الحاجز الذي يصطدم به التفكير البرجوازي مما يجعل الانعكاس آليا وغير جدلي.

اما خاصية الانعكاس الفني للواقع فهو انه يبحث عن حلوله بطريقة تختلف عن المنهج العلمي ، اذ يبدو العام كشيء يتمثل فيما هو خاص وفردي ، ويظهر الجوهر للنظر ويصبح قابلا للادراك في الظاهر ، ويرى انجلز ان كل شخصية نموذج ولكنها في نفس الوقت فرد محدد خاص.

ومن هنا فان كل عمل فني ينبغي ان يكون وحدة متلاحمة مستديرة كاملة يتسم بالبداهة.

Digitized by Birzeit University Library

والانعكاس لا يكرر الصورة لان لكل عمل فني عام عالما خاص به ، يختلف به عن غيره من الاعمال الفنية وعن الواقع اليومي .و"الكوميديا البشرية" "لبلزاك" خير شاهد على ذلك كلها خصوصيتها الواضحة.

ومحددات العمل الفني لا بد ان تكون تامة فيه ، ويجب ان تبدو في اوضح صورها واصفاها واشدها نموذجية ، كما يجب ان تكون العلاقة النسبية لهذه التحديدات متطابقة مع الجزئية الموضوعية التي تجيء في العمل الفني .

ومن صفات الانعكاس الاساسية الموضوعية ، وتعني فقدان الثقة في النزعة الشخصية والحد من التجميد الرومانتيكي للذات.

وفي القصة بالذات هناك تشديد على الموضوعية اي غيبة المؤلف عن العمل الذي ابدعه " او على الاقل عدم تدخله في مجرى الحوادث" .

ويتمثل جوهر الواقعية عند "بلزاك" في انه يعرض للوجود الاجتماعي والتناقضات التي تعلن عن نفسها في كل الطبقات بين الوجود والضمير الاجتماعي.

وفي انجلترا ميز "هازلت" بين الشعراء الموضوعيين امثال "شكسبير" و"سكوت" والذاتيين امثال "بيرون" و "ورد زورث".

ويرى بعض النقاد الغربيين ان شرط غيبة المؤلف عن العمل يؤدي الى استبعاد كثير من المؤلفين عن مجال الواقعية ، كما ان عناصر السخرية وظهور الاديب بشفافية وقطع حبل الوهم الفني ، ربما يؤدي الى تأكيد الانطباع الواقعي اكثر مما يعوقه.

والنضج الجمالي في العمل الفني يقوم على اساس العرض الكامل للعوامل الجوهرية في المجتمع. لهذا ينبغي ان يعتمد على تجربة مكثفة في التطور الاجتماعي . والصدق الشخصي للكاتب لا يمكن ان يؤدي الى الواقعية الا اذا اصبح تعبيرا اديبا عن حركة اجتماعية هامة ، يعرض الكاتب عناصرها الجوهرية بروح من الشجاعة والمهارة . بمعنى ان يتطابق صدق الكاتب مع حقيقة التطور الاجتماعي بقدر ما يتحرك في نطاقه ويحل مشاكله.

والاعتداد بالموضوعية هو الذي ادى الى رفض المدرسة النفسية . ويعارض "فيشر" الاتجاه الموضوعي للواقعية اذ يرى انه لا ينبغي ان ينحصر هذا الواقع في عالم خارجي بحيث يقوم مستقلا عن الوعي الانساني.

اي انه يؤمن بأثر المزاج الفردي للمؤلف ، والواقع في رايه لا ينطوي على الاحداث الخارجية وحدها ، وعلى العمل الفني ان يزاوج بين الواقع والخيال بالضرورة . ويرى ان ساحرات "شكسبير" و "جويا" اكثرواقعية من معظم الفلاحين والصناع المثاليين في اللوحات التقليدية.

وهناك اتجاه ثالث في فهم الموضوعية يتسم بلون من الرومانتيكية وهو اتجاه الكاتب الفرنسي "لويس اراغون" ، ويرى ان كل انسان يحتفظ في قرارة نفسه برغبة دفينة وهو ان يبقى منه شيء يحيى بعده ويترك اثرا فيه، غير ان نزعته الفردية لا تمس جوهر الموضوعية الواقعية في شيء خطير.

واخيرا هناك مسألة العلاقة الجدلية بين الشكل والمضمون في الواقعية . وفي البداية قال هيجل عبارة فحواها ان المضمون يجب ان يتحول الى شكل والشكل الى مضمون. ويرى "لوكاتش" ان المحتوى الكامل للعمل الفني يجب ان يتحول الى شكل حتى يكون للمضمون الحقيقي فعاليته الفنية ، فالشكل ليس الا اقصى حالات التجريد واعلى نماذج التركيز للمضمون ، وهو الذي يبلغ بمحدداته الى ابعد مداها ، وليس الشكل الا اثرار النسب الدقيقة بين المحددات المختلفة واقرار مراتب الاهمية بين تناقضات الحياة المنعكسة في العمل الفني . والمواضيع الادبية تستحيل الى اشكال خاصة ، واكثر الاعمال تطورا

Digitized by Birzeit University Library

واعظمها كمالا هي التي يتمثل فيها هذا التحول المتبادل بين الشكل والمضمون".

النموذج والبطل

كان "بلزاك" يعتبر نفسه دارسا للنماذج الاجتماعية ، على اساس ان الحياة بالنسبة له مجموعة من الظروف الصغيرة على الروائي ان يضخمها،ويختار منها ما هو جدير بتكوين العناصر الدرامية التي هي قوام كل رواية . اي ان يضخم الشخص ليبلغ مستوى الرمز. على ان تثير هذه الشخصية خصائصها المميزة من وجهة النظر الطبقية.

اما "تين" فقد ربط النموذج بنظريته في الخواص وقد اختلطت فكرة النموذج عنده بفكرة المثال عند هيجل ،والنموذج يتكون سعيا من الواقع باتجاه المثال . اما كارل يونج فقد درس نماذج الشخصية من وجهة النظر النفسية ، والنموذج عنده هو المثال او النمط الذي يعكس بطريقة متميزة خواص نوع ما . ونظريته في النماذج المنطوية والمنبسطة معروفة.

وقد عارض "كورتشه" الايطالي فكرة النموذج واصر على الطابع الفردي المحدد في الفن ، فاخيل يجب ان يكون اخيل وليس نموذجا للشجاعة وهكذا الحال مع غيره من النماذج.

وفي الواقعية الاشتراكية ظهرت صورة "البطل الايجابي" ، وترى هذه المدرسة ان خلق النماذج ينقذ ما في الماضي من عناصر خالدة .

والشخصية النموذجية ليست متوسطة ولا فذة وانما تصبح نموذجية لانها موصولة في جوهر شخصيتها بالعوامل الموضوعية التي تحدد بعض الملامح الاساسية في تطور المجتمع ، اي تتركز في وجودها الملامح التي تحدد اتجاها تاريخيا واقعيا ، دون ان تكون مجرد خطوط تجريدية. وفي هذه الشخصيات نستشعر على الفور العملية الجدلية بين ما هو خاص ذو اطار فردي محدد وما هو في نفس الوقت نموذج عام . واذا كانت الواقعية القديمة تقدم خصائص متطرفة انفعاليا فان الواقعية الاشتراكية خلقت شخصيات التناقضات الاجتماعية وتجسمها باعظم قدر من الفعالية الحقيقية.

والمهم في النموذج ان يرتقي بالمزايا الفردية الى خارج اطارها الخاص . الارتفاع الى مستوى النموذج دون ان يفقد الصفات الفردية.

والنموذجي في النهاية متطرف ويخالف الواقع اليومي ومن ابرز الامثلة عليه شخصية "دون كيشوت" . وقد اضاف جوركي الى النموذج صبغة انه استثنائي . وهو يصف بطلة (الام) كحالة استثنائية ، غير ان الاستثنائي الان قد يصبح النموذج الذي يسير على خطاه الملايين من عمال وفلاحين - كما في حالة "الام" - في المستقبل.

ويقاس عمق النموذج بمدى ارتباطه بالحياة كرصيده المباشر من جهة ومدى تجسيمه للمصير الاجتماعي في ظروفه الفردية من ناحية اخرى . ولا تشترط في البطل النموذجي ان يمثل الصواب دائما وكثير من ابطال شكسبير وغوته هم ابطال غير ايجابيين.

منظور المستقبل وروح الملحمة والشعر

منظور المستقبل : يعني الاتجاهات التي تحدد طريقة تطور الاحداث وتحكم مسيرتها ، وهي اتجاهات قائمة في الحاضر وان كانت غير مرئية او متميزة عن غيرها في العوامل العارضة . هذا من الناحيةالموضوعية اما من الناحية الشخصية فيعني قدرة الادب على التقاط هذه الاتجاهات وادراكها بوضوح .

وكلما كان حدس الكاتب بالعوامل

Digitized by Birzeit University Library

"الديناميكية" قويا ورؤيته من منظور المستقبل واضحة كان اقدر على بناء عمله على اساس واقعي حقيقي.

ومنظور المستقبل يشير الى ما لم يوجد بعد وهو ليس عالما مثاليا او مجرد حلم ذاتي بل هو موضوعي لكنه ليس قدريا جبريا ويتم بطرق كثيرة مختلفة.

ومن الامثلة عليه نهاية "الحرب والسلام" لتولستوي" ففيها تصوير مسبق للمستقبل الذي سيعقب الاحداث التي صورتها القصة.

اما الروح الملحمي للواقعية فيتمثل في الشمول والرواية والاستبعاد . ورسم صورةالانسان في شمولها وللمجتمع في عمومه دون ان ينحصر العمل في المظاهر الجزئية لان ذلك يؤدي الى تشويه العمل. وتتطلب الشمولية تقطير حياة الانسان الخارجية وتحويلها الى شعر دون ان نقع في التجريد النظري . اما الرواية فهي خاصة رواية الاحداث وكان جوته يرى ان من خواص التأليف الملحمي تناول جميع الاحداث على انها ماض ، على عكس التمثيل الحاضر المطلق في العمل الدرامي.

كما يترتب على الرواية نوع من " الاستبعاد" تجاه الاحداث المروية يعتمد اساسا على عنصر الزمن ، دون ان ينقص من ما قد يلجأ اليه المؤلف من الحكاية بصيغة المتكلم.

ومسرح "بريشت" الملحمي وان كان يعتمد على الرواية الاستبعاد الا انه يستخدم المشاهد الجزئية القصيرة ويهتم بالحكايات الخرافية والاساطير.

ويرى "فيشر" ان النزعة الاسطورية في الادب الحديث تمثل هروبا من الواقع مما يعد نتيجة اولى للاغتراب.

الفصل الثالث

الصراع الجدلي والحصاد الاخير

نقد الواقعية للمذاهب الاخرى

الواقعية اخذت على عاتقها القضاء على تمجيد الذات الرومانتيكي ، والحد من الارتكاز الاساسي على الخيال الواهم ، واستبعاد الاسلوب الرمزي المبهم ، وقصر دور الاسطورة في الادب على مجال محدود ، كما عارضت التصور الرومانتيكي للطبيعة التي تبث فيها الحياة وتتخذها مادة للتجسيم ومناطا للمناجاة.

والواقعية ترفض مثالية الكلاسيكية وتفسر النموذج على انه نموذج اجتماعي وليس نموذجا انسانيا عاليا مطلقا . كما ترفض ما تفترضه الكلاسيكية من وضع سلم لشرف الموضوعات ونبلها . وفي الواقعية وعي تاريخي بالتطور الحديث وبموقف الانسان الذي يعيش في مجتمع حديث . لا هذا الانسان الاخلاقي المبتوت الصلة بما حوله ومخلوع الجذور من ارضه ومعدوم الانتماء الى وسطه.

اما الطبيعية فقد قدمت نفسها على انها وريثة الواقعية وخطوة بعدها في الاتجاه العلمي . اما في حقيقة الامر فانها كانت تشكل انحرافا عن الواقعية ، رغم زعم زعيمها زولا انه يتبع المنهج العلمي على طريقة "كلودبرنار" . اي التسامي بالادب الى علم الادب . وقد ولد ذلك لديهم ثقة مطلقة زائفة . ووفقا لنظريته العلمية يولي زولا اهمية لمسألتي الوراثة والبيئة وكان يطمح لان تفسر الفسيولوجيا عمليات التفكير والشعور لدى الانسان . ولهذا كله وقع زولا في جبريه قدرية لا فكاك منها ، وقد حاول ان ينفي ذلك وادعى انه وضعي لا جبري.

ومن خصائص القصة الطبيعية تحويل المؤلف الى مجرد ناسخ لا يصدر احكاما ولا يستخلص

Digitized by Birzeit University Library

نتائجا.

لقد ادرك معاصرو "زولا" ان موضوعيته العلمية على خداع واضح لانها تحجب رؤية الصراع الحي بين الماضي والمستقبل وتجعله يرى الاشياء ثابتة لا تتزحزح. ولقد اكتسبت المدرسة الطبيعية على الايام بنزعة تبريرية تمثلت في الوقوف عند سطح الظواهر واستبعدت من العالم اعمق مشاكله واكثرها الحاحا. كما قدمت التفاصيل اليومية وفشلت في ابراز التناقضات الاجتماعية الكبرى . وحصرت الانسان في المستوى النفسي البحت.

وقد ورثت التعبيرية القصور الطبيعي ومضت به الى مداه ، لقد اتقنت تصوير سطح الحياة وتصوير الانطباعات النفسية الناجمة عن هذا السطح لكنها مقابل ذلك ابتعدت عن القاعدة الموضوعية للظاهرة المعروضة . وعند التعبيريين وصلت عملية التجريد ابعد مدى لها ، وفي هذا تلاقوا مع الرمزيين.

وقد اصبحت مهمة الكاتب التعبيري نقل عملية الابداع التي توجد في خيال المحدثين الى بنية العمل الادبي نفسها اي اعطاء صيغة ما للجوهر . وهذا الجوهر لا صلة له بالتركيز والتسامي الموضوعيين للملامح النموذجية العامة الماثلة في الواقع الموضوعي بصيغة دائمة كما عند الكاتب الواقعي الحقيقي . ورأي التعبيريين بالنسبة للمجتمع تميز بلون غالب من المثالية التي تحاول التمسح بنوايا موضوعية لا تخفي ذاتيتها.

وقد كانت هناك السريالية التي اعقبت المرحلة الاولى من الواقعية كرد فعل لها وهي تتراوح في معناها بين "ما وراء الواقعية" او "ما فوق الطبيعية" ، وقد عمدت الى تمجيد الخيال الجامح والمغالاة في الرؤى الخاصة . وقد دعا زعيمهم اندريه برايتون ١٩٢٤ الى الرفض المطلق . وهي دعوة غير قابلة للتنفيذ لان الرفض لا يمكن الا ان يكون نسبيا فالفنان بوسعه ان يتخلص من بعض القيود ليخضع لقيود اخرى والسريالية مواجهة خارجية على الواقعية ويتضح ذلك من المبادىء التي اعلنها زعيمها عام ١٩٢٧ ومنها :

١) اعتناق المادية الجدلية مبادئها اساس السريالية خاصة اولوية المادة على الفكر.

٢) ويرى انه طبقا لشهادة كل من "ماركس" و"انجلز" فان من العبث الاصرار على ان العامل الاقتصادي هو وحده الذي يحدد مجرى التاريخ فالعامل الحاسم هو "انتاج الحياة الواقعية وتكرره" ، واجزاء البنية العليا تمارس فاعليتها في تطور الصراعات التاريخية.

ويرى المؤلف ان بعض عناصر السريالية ايجابية ولم تتردد الواقعية - حتى في شكلها المتزمت - في استخدامها احيانا . ومنها ان تعد من اعمق التعبيرات الموضوعية عن روح الفكاهة في العصر الحديث / لما عند "لويس اراجون".

من السياق الادبي الى السياق الاجتماعي

لقد قامت الواقعية بنقل الثقل من السياق الادبي الى السياق الاجتماعي ، وادى ذلك الى ظهور علم جديد هو "اجتماعية الادب".

ورائدة هذا العلم "مدام دي ستيل" ١٨١٠م ، وهو عن الادب باعتبار علاقاته بالمؤسسات الاجتماعية.

وفي المانيا حدد "ميهرنج " العلاقة بين المؤسسات الاجتماعية والاثار الادبية . وفي روسيا هناك اسهامات بليخانوف حيث جرى التركيز على التوثيق الاجتماعي . ويرى شدانوف انه لا بد من دراسة الادب وعلاقته التي لا تنفصم بالحياةالاجتماعية.

ويعتبر كتاب "هنري بيير" عن "الاجيال الادبية (١٩٤٨) هو الميلاد الشرعي لاجتماعية الادب ، ثم اعقبه كتاب "ميشو" "مدخل لعلم الادب" عام ١٩٥٠ وقد عرضت فيه لاول مرة

Digitized by Birzeit University Library

بوضوح منهجي ومصطلحات اجتماعية فكرة اجتماعية الادب الاساسية.

ويعتبر اخرون ان كتابات"لوكاتش" هي نقطة التحول الحاسمة في دراسات اجتماعية الادب.

وهناك منهجان في دراسة اجتماعية الادب :

١) اتجاه يهتم بالظواهر الادبية والنشر والتلقي والتأثير في القاريء ، ويهتم بالاحصاء وطرقه .

٢) اتجاه يهتم بالخلق الجمالي وصلته بالمؤلف والمنهج وزعيم هذا الاتجاه الهام هو "جولدمان" ويلتقي معه اتجاه "سميولوجي" يركز على التحليل الاجتماعي للرموز الفنية من صور واخيلة وتراكيب تكشف عن الطابع الاجتماعي للمبادىء الجمالية وهو منتشر في ايطاليا .

وسنركز هنا على الاتجاه الثاني نظرا لاهميته.

ان اهم مدرسة عالية تعرضت لاجتماعية الادب هي التي تزعمها لوسيان جولدمان (١٩١٣ - ١٩٧١) والتي تركز على اجتماعية الابداع الادبي بشكل اصيل تترتب عليه نتائج هامة في مجال الادب والاجتماع معا .

فهي اولا ترتكز على اسس البنائية الحديثة التي تحاول ان تشمل جميع جوانب الفكرالمعاصر وتدرسها كأبنية متكاملة ذات قوانين علمية محددة لاكوحدات جزئية متناثرة . ومن اكبر دعاتها في الغرب عالم النفس جان بياجيه اما رائدها فهو العالم اللغوي السويسري "دي سوسير" ومن ابرز رموزها العالم الانثروبولوجي "لبفي ستراوس" .

وتأتي ثانيا صفة التوالد لتشير الى خاصية في البنائية انها ليست اطارا ثابتا جامدا لا يتغير وانما تتميز بالحركة والتوالد الدائمين .

ويصوغ "جولدمان" نظريته في اجتماعية الابداع الفني في اطار القوانين العامة ، فكما انه لا يمكن الفصل بين التاريخ وعلم الاجتماع كذلك لا يمكن الفصل بين القوانين التي تحكم السلوك الابداعي وبين القوانين التي تتحكم في السلوك اليومي للانسان . هذه القوانين يناط بعلم الاجتماع استنباطها من الواقع وهي تصلح لان تطبق على الانسان العادي وعلى الاديب في اللحظة التي يؤدي فيها ابداعه . ومن القواعد العامة ننطلق الى القواعد الخاصة التي تميز الابداع الادبي . لذا لا يمكن فهم الابداع الثقافي بمعزل عن الحياة ، كما لا يجوز درس الابداع الادبي بعيدا عن مبدعه والعلاقات الاجتماعية التي تحكم هذا المبدع.

ويرى جولدمان ان الخصائص الجوهرية للسلوك البشري عامة والابداع الفني ضمن ذلك هي :

١) الاتجاه الى التكيف مع الواقع المحيط للانسان.

٢) النزعة الى التماسك في بيئة تركيبية شاملة.

٣) خاصة النشاط "الديناميكي" والاتجاه الى تعديل البنية التي يعتبر جزء منها وتطويرا لها.

وهناك علائق بين العالم الواقعي وعالم الادب الخيالي وتتم هذه العلائق على مستويين هما :

١) مستوى الشروط التي يتم فيها وضع المبادىء والمقولات التي يتركب منها الابداع الادبي.

٢) مستوى الوظيفة الانثروبولوجية للابداع الخيالي.

واذا كان الفنان يستطيع ان يخلق عالما متوحدا متماسكا ذا دلالة فان السبب في ذلك هو انه ينطلق من هذه المبادىء اوالمقولات الجماعية التي رسمت خطوطها الاولى ، وبهذا ينحصر عمله في تضمين عالمه اثناء خلقه ما قام بوضعه بقية اعضاء الجماعة . على ان لا نفهم من ذلك ان الفنان المبدع انما هو مجرد عاكس للضمير الجماعي . اذ توجد رابطة جدلية اخرى ابعد من الانعكاس بينه وبين هذا الضمير . فالعمل الفني عندما يطابق تطلعات واتجاهات الضمير الجماعي

Digitized by Birzeit University Library

مما يضفي عليه الصبغة الاجتماعية فانه يحقق ايضا على المستوى الخيالي نوعا من التماسك يندر ان نعثر عليه في الواقع . وبهذا المعنى فهو من صنع شخصية فذة يكتسب من ممارستها خاصية فردية مميزة .

وهناك فكرتان رئيسيتان عند جولدمان هما :

١) البنية الدالة ٢) رؤية العالم.

اما البنية فيعرفها جولدمان كما عرفها بياجيه ، ان يقول : توجد بنية ما عندما تجتمع بعض العناصر في وحدة شاملة تتميز بخصائص محددة لمجموعها ، بحيث تتوقف هذه العناصر - جزئيا او كليا - على مميزات الوحدة الشاملة ، والاعمال الانسانية تتميز بان لها ابنية دالة لا يمكن فهمها الا من خلال الدراسة التوليدية ، ولا يمكن الفصل بين عمليتي الفهم والتفسير في اي بحث ايجابي لهذه الاعمال . ولكي نعرف البنية لا بد من تقطيعها الى وحدات . والمرشد الوحيد في ذلك هو تتبع المجموعات البنائية ذات الدلالة المتماسكة.

اما الفكرة الثانية فهي رؤية العالم وطابعها الاجتماعي الطبقي . فانتماء الفرد لقطاع اجتماعي له اثاره البعيدة على تفكيره وعواطفه وسلوكه . فاذا كان الفرد ينتمي الى قطاعات اجتماعية مختلفة اصبح خليطا ضعيف التماسك وعلى العكس نجد ان دراسة الضمير الجماعي لقطاع معين اسهل بكثير.

وهناك جماعات مثل الاسرة والتنظيمات المهنية تهدف الى تحسين اوضاعهاوالضمير النابع منها هو ضمير ايديولوجي ، وهناك قطاعات اخرى تحاول تنظيم علاقة الانسان بالطبيعة ويطلق عليها "رؤية العالم" وتماسك النمط الثاني ابرز من تماسك النمط الاول وهو العامل الحاسم في الخلق الادبي وهو بمعنى ما العامل الطبقي .

ورؤية العالم هذه تتجلى في النص من خلال

١) العناصر الجوهرية في العمل المدروس .

٢) دلالة العناصر الثانوية في مجموعه.

ولا ينبغي ان يقف الباحث عند المستوى الفكري في دراسته لرؤية العالم بل دراسة مكوناتها المتعددة ذات الصبغة العاطفية ، وترجمة الاعمال الابداعية دائما الى لغة العقل قد تقدم رؤية مختلفة عن تفكير مؤلفها . ولذا لا يجب الاعتماد على هذا التأويل العقلي ، والانسان كائن شديد التعقيد ولا يجوز تبسيطه.

ويمكن تلخيص مبادىء بنائية التوالد في النقاط التالية :

١) العلاقة بين الحياة الاجتماعية والابداع الادبي ترتبط بالقيم.

٢) تجربة الفرد اقصر من ان تسمح بابداع بنية ذهنية ولا بد من نشاط مشترك لعدد كبير من الافراد الذين يلتقون في مواقف مشابهة.

٣) المضامين المختلفة والمتعارضة قد تتوافق بنائيا اي ترتبط بسلم قيم واحد .

٤) الاعمال الادبية العالية والمتوسطة يمكن دراستها بنفس المنهج هذا المنهج يستطيع معرفة العناصر التي تضفي على العمل الادبي وحدته الجمالية .

٥) ابنية سلم القيم التي تحكم الضمير الجماعي ليست شعورية ولا شعورية بالمفهوم الفرويدي بل اشبه بالعمليات التي تحكم الوظائف العضلية والعصبية.

٦) على الباحث في اجتماعية الادب ان يحاول اكتشاف البنية المسؤولة عن العمل بأكمله .

٧) هناك اهمية كبرى للتوتر المتسامي عليه بين التعدد والثراء الملموس من ناحية والوحدة التي تنتظم هذا التعدد في كل متماسك.

Digitized by Birzeit University Library

في الذكرى الاول لوفاة البروفيسور فون لايبنتس :

"البارون الاحمر" الذي نقل القرآن الى الالمانية

د. عبد القادر حسين ياسين

الزمان: الاول من تشرين الاول ١٩٧٦
المكان : جامعة برلين الحرة ، برلين الغربية.

رنين جرس الهاتف لا ينقطع ، والصباح الرمادي يلف كل شيء بصمت مطبق. لرنينه المفاجيء ، في هذه الساعة المبكرة ، وقع ثقيل على القلب. امد يدي اليه بامتعاض. والنعاس ما يزال يثقل جفني. صوت دافيء يتدفق بفصاحة في النطق. قال لي/ بلغة عربية ممتازة:"اسعدت صباحا، يا سيدي، يؤسفني جدا ان ازعجك في هذه الساعة المبكرة. هل لي ان اتحدث اليك قبل عودتي الى هايدلبيرغ؟" طلبت منه اسم الفندق ورقم الغرفة ،وودعته على امل اللقاء به.

في فندق "كمينسكي" ذي النجوم الخمس الواقع في شارع اكلورفورستندام، حيث الرواد عادة من رجال الاعمال ، والقوادين واللصوص والخبراء ومدعي الخبرة ، تقدمت من موظفة الاستقبال الحسناء استفسر عن اسم نزيل الغرفة ٨٨٠، ذلك انني لم اسأله عن اسمه ، وهو لم يصر، ساعتها ، على ذكره. فاجابتني الموظفة بأن نزيل الغرفة هو البارون هانس - يواخيم نون لايبنتس ، المستشرق الالماني المعروف.

ولم ادعها تكمل. قلت لها: لقد اتصل بي احد الاصدقاء العرب واعطاني رقم هذه الغرفة. يبدو انك لم تتأكدي من اسم النزيل جيدا. فاكدت لي الموظفة معلوماتها بعد ان رمقتني ، من طرف عينها ، بنظرة تعكس مدى "احترام" الالمان

Digitized by Birzeit University Library

لهذه المخلوقات القادمة من العالم الثالث!!

وقفت برهة اراجع الرقم واسم الفندق المدون في مفكرتي ، ثم توجهت الى غرفة الهاتف الداخلي وادرت رقم الغرفة. فجاءني ذلك الصوت الدافيء نفسه، واخبرته بأنني في انتظاره، حسب الموعد، في بهو الفندق.

جاءني رجل عجوز وقور في حوالي السبعين من عمره ، بعيون زرقاء نافذة وشعر اشقر كثيف يعيد الى الاذهان الصورة النمطية لمفكري اوروبا في القرن التاسع عشر. مد يده الي باسما: "اسمي هانس - يواخيم فون لايبنتس. لقد قابلت صديقنا المشترك البروفيسور وتلف البرس واعطاني اليك هذه الرسالة. هل يتسع وقتك ، وصدرك لحديث قصير؟ انني مهتم بترجمة نماذج مختارة من القصة القصيرة والقصائد لبعض الكتاب والشعراء الفلسطينيين الى اللغة الالمانية لنشرها والتعريف بالتراث الثقافي الفلسطيني. اعلم ان لديكم بعض الكتاب والشعراء المبدعين مثل محمود درويش وسميح القاسم واميل حبيبي وغيرهم. لكني لا استيطع ان احيط بكل ما صدر من اعمال ادبية ودواوين شعرية. اريدك ان ترشح لي افضل ما يعبر عن النضال الفلسطيني هل اطمع في مساعدتك؟".

ودعت الرجل على امل اللقاء به في اليوم التالي. وبدأت اراجع الاسم في ذاكرتي.. البارون هانس - يواخيم نون لايبنتس .. لقد قرأت شيئا عنه او شيئا له.. لقد مر علي هذا الاسم ، لكن اين؟ وبدأت اقرأ رسالة الصديق المشترك ، البروفيسور وتلف البرس. واستطعت من خلالها ان اهتدي الى معرفة اكثر بهذا الرجل.

استعرضت مكتبتي فوجدت للبارون ثلاث كتب ، الاول بعنوان "مختارات من كتب الشرق المقدسة"، والثاني" المشرق العربي في كتابات الرحالة الالمان"، والثالث ترجمة لمعاني القرآن الكريم باللغة الالمانية.

في عام ١٩٧٥ ، اذ كنت استاذا مساعدا بجامعة برلين الحرة ، قررت لصف من طلاب البكالوريوس مجموعة من القصص العربية المعاصرة التي اختارها وترجمها البارون فون لايبنتس، ونشرتها دار "بيرتلسمان"، وذلك في مساق عن الثقافة العربية المعاصرة. وكان الطلاب في غنى عن معرفة اللغة العربية. وكان رد الفعل مثيرا حقا من طلاب على قدر كبير من النضج والذكاء . ففي الابحاث التي اعدوها كانت دهشتهم رائعة لان يكتشفوا قصاصين على حد تعبير احدهم - "لو لم يعرفوا انهم عرب ، لاعتقدوا ان قصصهم جاءت من اعمال غوركي".

حدثني الرجل، طوال ثلاث ساعات كاملة ، باخلاص وتعاطف شديدين للعرب وآدابهم وحضارتهم. فهو من مواليد كونيغسبيرغ (في المناطق الالمانية الشرقية التي ضمت الى بولندا بعد الحرب العالمية الثانية ، وتدعى الان كالنينغراد) عام ١٩٠٦ . تلقى علومه في بروسيا الشرقية قبل ان ينتقل الى برلين للالتحاق بجامعتها. درس في هايدلبيرغ والسوربون وكامبريدج، وحاز على درجات علمية عالية في اللغة العربية وآدابها والاسلاميات . يحمل ست شهادات دكتورا، وعشر شهادات فخرية. بدأ اهتمامه بترجمة الاعمال الروائية العربية الى الالمانية في اواخر

Digitized by Birzeit University Library

الخمسينات . سافر الى مصر بدعوة من عميد الادب العربي ، الدكتور طه حسين ، وعمل مدرسا للغة الالمانية بجامعة القاهرة. عاد الى هايدلبيرغ في مطلع الستينات ، وعين رئيسا لقسم الدراسات الشرقية واستاذا للغات السامية بالجامعة.

في تلك الفترة كانت "الحرب الباردة" بين المعسكرين في اوج اشتعالها ، وكان الحنين الى الفاشية يراود زعماء اليمين الالماني في عهد الدكتور كونراد اديناور. في اواخر الستينات ، وبضغط من فرانتس - جوزيف شتراوس وحزبه (الحزب الاشتراكي - المسيحي) اصدرت الحكومة الالمانية قانونا حرمت بموجبه "كل من يشتبه بانتمائه الى اليسار" من حقه في الحصول على وظيفة حكومية، وخاصة في حقل التعليم . وقد عرف هذا القانون السيء الصيت بقانون "المنع الوظيفي" Berufsverbot .

وكان البروفيسور فون لايبنتس في مقدمة الاساتذة والعلماء والباحثين الالمان الذين طردوا من وظائفهم بسبب هذا القانون الجائر الذي لا يزال ساري المفعول في واحدة من "اعرق الديموقراطيات" في "العالم الحر" : وتعرض فون لايبنتس لحملة تشهير شنتها ضده صحافة اكسيل شبرنغر ووصفته بانه "البارون الاحمر" الذي "تنكر لطبقته" و "التحق بحثالة المجتمع" (كذا!!).. ولم ييأس فون لايبنتس، فاسس مع صديق له دار نشر صغيرة في عام ١٩٧١.

ايقن "البارون" ، بالتجربة العملية ، ان الجهد الفردي محدود الفاعلية ، فاتفق مع دار Heinz للنشر على اصدار مجموعة من القصص العربية الحديثة المترجمة. ومما يؤسف له انه لم تتطوع اية جهة عربية (بما في ذلك جامعة الدول العربية) لشراء "ولو نسخة واحدة" من هذه الترجمات. وعندما ترجم "موسم الهجرة الى الشمال" للروائي السوداني الطيب صالح، وعرض نشرها على نفس الدار اعتذرت لانعدام تشجيع خطواتها الاولى من قبل الحكومات والاجهزة العربية التي تتشدق كثيرا بالحديث عن الحوار العربي - الاوروبي ودعم الاصوات المؤيدة للقضايا العربية.

انتقل البروفيسور فون لايبنتس للتعاون مع دار "بيرتلسمان" وهي ثالث اكبر دار نشر في المانيا الاتحادية . فنشرت له مختارات من روايات نجيب محفوظ ، وموسم الهجرة الى الشمال للطيب صالح. وتوالت الاصدارات (ضمن سلسلة "كتابات من العالم الثالث"). وفي اواخر العام ١٩٨٥ نشرت له ترجمة لرواية "سعيد ابي النحس المتشائل" للاديب الفلسطيني المعروف اميل حبيبي، ودراسة مطولة عن "الادب الفلسطيني ١٩٤٨ - ١٩٧٨".

استمرت دار "بيرتلسمان" في د و كتبه بمعدل ٣ - ٤ كتب في العام. وفي رسالة تلقيتها منه في بداية العام ١٩٨٦، قبل ثلاثة اشهر من وفاته في حادث قطار ، قال لي البارون فون لايبنتس ان دار النشر ("بيرتلسمان") ستضطر الى التوقف عن نشر كتبه، وستضرب عرض الحائط بكل ما هو عربي ، بسبب النفقات الباهظة التي تتحملها لتمويل مشروع الترجمة والنشر، وهي بذلك "تؤثر السلامة على التصدي غير المباشر للدعاية الصهيونية ضد العرب في المانيا".

كانت الدار تطبع ١٠ آلاف نسخة ، يقرأ كل نسخة حوالي ٣٥ - ٤٠ قارئا (حسب المعدل

Digitized by Birzeit University Library

العالمي لقراء اللغة الالمانية". وتذكرت ان مجلس وزراء الاعلام العرب التابع لجامعة الدول العربية (اطال الله بقاءها) قد دعا الدول الاعضاء غير مرة (ولكن لا حياة لمن تنادي!!) الى القيام بجهود اعلامية منسقة في اطار نظام اعلامي عربي جديد "يوضح التوجه الحقيقي الصادق للامة العربية وسعيها الدائم لخدمة الحضارة الانسانية ، وترسيخ الاستقرار في كافة ارجاء العالم".

في شهر شباط ١٩٨٦ كنت في هايدلبيرغ، للمشاركة في اعمال المؤتمر السنوي للمعهد الدولي لدراسات العالم الثالث . وعلى هامش اعمال المؤتمر التقيت بالرجل الذي كان قد احتفل قبل يومين بعيد ميلاده الثمانين ، وقلت له : ما الذي يحتاجه مشروعك كي تستمر بنفس وتيرة النشاط السابق؟ قال وهو يحدق في وجهي مبتسما، ويمس جرحا ما بداخلي:

• "ماذا تقول؟ لم اعهدك تمزح.. انك افقر من فأر الكنيسة".. لقد حاولت ان اقنع بعض الجهات العربية بأن تشتري من دار "بيرتلسمان" مباشرة كل عام عددا من النسخ مساهمة منها في تغطية الخسائر . عشرة الاف مارك ، لا اريد اكثر من ذلك".

- هل وقعت كلماتك هذه على آذان صاغية؟ هل لاقيت تجاوبا من احد؟

• لقد استمعوا الي بأدب جم، وقالوا ان ما اقوم به على جانب كبير من الاهمية ، ووعدوا خيرا. ولكن ايا من هذه الوعود لم يتحقق. هل تعتقد بأن ما اطلبه كثير؟".

ولم اجب على سؤاله ، ذلك انني لم اعرف كيف اداري خجلي من هذا الرجل الذي خدم اللغة العربية اكثر بكثير من بعض الناطقين بها.

ان كل ما طلبه هذا الرجل ، ايها السادة ، هو ١٠ آلاف مارك، اي اقل بكثير مما ينفقه بعض العرب في سهرة حمراء في مرابع اوروبا ومواخيرها.

Digitized by Birzeit University Library

شعـــر

الذبالـــة

محمد شريم

(١)

هذي حشاشة كوكبك ،
خف التألق فالضياء ..
والجرعة العشرون من كأس القساوة
قد طواها الانقضاء ..
وتميد ارض مدينتك ، بل تضطرب
مثل الغبار ...
ويميل لون حبيبتك ،
شيئا فشيئا ، كالجدار..
وتظل انت من الزجاجة
كالذبالة في العراب ..
واراك غصنا ، او غصينا ،
في كخب تلريح يطوى
ثم يسوى،
ثم يثنى،
ثم يسوى،
ثم تبقى الريح عانية تغالب فيه
الاستواء..
وانت مثل الشمس عار ،
انت مثل الشمس عار ،
انت مثل الشمس عار،
تلبس النسمات ثوبا

ثم تلتحف الفضاء ..
وكما ترى ،
الجوع تخمتك الاكيدة ، لا مراء ..
والبؤس نجمتك الوحيدة
في السماء ..

والاضطهاد ، الاضطهاد ، الاضطهاد
بقلب قلب شوارعك ،
هو ما تبقى من ملامح رسمتك ،
هو بقعة حبرية كانت
تغشت ذات ليل حالك فتشوهت
الوان وجه صحيفتك..
والحبر كان من الدماء ،
الحبر كان
من الدماء..

(٢)

ما اطول الطريق .. !
ما اخشن الطريق اذ تشح
بالاصحاب !!
كم من براميل النبيذ تثير بعض
الدفء في القلب الحزين ؟؟
كم بردة صوفية تكفيك كي تذكي فتيل الدفء
في جسم اتاه البرد

في بلاد اقفرت من الاحباب؟؟
وكم عودا من الثقاب ..؟؟
نسير جل الوقت في مدائن الجليد ،
ونستظل بعض الحين تحت اية شرفة
تفر من بناية تختال بالقرميد ،
واحيانا نحك الرأس قرب مفارق الطرق،
مفتشين وباحثين ، وباحثين،
مفتشين عن جذر من الانساب ..

Digitized by Birzeit University Library

او فلنقل عن رشفة
من الرضاب ..
حتى ولو ..
حتى ولو عن بركة من السراب !!
ولطالما كنا نصفق للاميرة والامير وللامام !
وقد نزجو على رؤوسهم الحمام!
ولربما قمنا بنثر الزهر ،
زهر القلب والامل الجميل دونما حساب !
او لم نغن مع الصباح
ببابهم كما تغني الارض للسحاب ؟!
او لم نقم بالليل ننضح الغناء والنشيد ،
وامدح القصيد ،
من الذي لم يحوه كتاب..
حتى نقطع الاوتار ..
او نفض الليل..
او نمزق الاسحار ..
فنطرب الامير ،
ونعجب الخفير ،
بذا الذي لم يشده في عصره زرياب؟؟
فنلت الوعد اثر العهد ..
نلت العهد اثر الوعد..
فاطربتك وعودهم ،
واسكرتك عهودهم ،
حتى اضطجعت ذات يوم ساعة
مستدفئا على رمال الشاطيء
قد ضاق بالضباب ..
كانوا جميعا يا صديقي عصبة - احقد بها ! -
في هيكل الانصاب ..

ما بين من يمضي الليالي يطبخ الحقد المقدس
فوق موقف قلبه
او سائل.. مستغرب .. مرتاب !
عجب عجاب !!
كل ما مخضوه يوما زبدة العجب العجاب !
كل ما غرهوه يوما طلعة العجب العجاب !
قد حددوا الحلم الكبير بحاسب آلي ،
وبعضهم يعده كمكسب مالي ..
وبعضهم يحول بين فلقتي البرتقال
بعلبة الالوان ،
وبعضهم يدس رأسه بالرمل ..
ريثما ينساب..
وكلهم اتراب ..
وكلهم اصحاب ..
وكلهم يقوم قبل ان يصيح الديك ليلا
ثم يعقد حاجبيه ،
يلقي الفراشات الرقيقة بين السنة
اللهب..
ويدعي بانها في روضة المعشاب !
وتقسم اللغة الرؤوم باقلام الرصاص !
تبا لهم ، تبا لهم ،
اذ يمنع السحاب من تجاوز الحدود ،
اذ ترتدي الاشعار معطف الحداد ..
اذ يختفي في غيمة من دمية كتاب !

(٢)

يا صاحبي ،
يا بائع الاحزان في زجاجات العطور
قد تبهر الابصار ..
قد يزهر القلب الخصيب بنفسجا
اذا بذرت احزانك ..
لكن كل جذوة بحاجة للاتقاد !!
ليس من جدوى بروض غيمة
سرب الجراد..
فالى متى ..؟
الى متى ..؟
قل لي اذن الى متى بهمسة ، بنصف نصف نظرة
تبدل العقيقة؟؟
الى متى تصب زيتا في القناديل العتيقة ؟؟
الى متى تزيد الطين بلة
وفوق كل صحيفة وضاحة

Digitized by Birzeit University Library

تقوم تسكب المداد ؟
يا صاحبي ،
يا بائع الازهار في
المطارات البعيدة والقريبة ،
لكل صحيفة لغتان ،
لكل صحيفة وجهان:
وجه عليه اشعة ذهبية ،
وفوق وجهها الثاني لزوجة السواد ..
ارجوك نصف قلبي : لا تندفع ..
لن تشتري صمتي بذكر قصدك
الحسن ..
لا تمح احسن اللغات بطيبة الفؤاد،
ماذا يفيد كله في قاعة المزاد ؟؟
ماذا يفيد كله في قاعة المزاد؟؟

١٩٨٧/٧/١٩

* القيت في المهرجان الوطني الثالث للادب الفلسطيني في الارض المحتلة والذي اقيم في الفترة الواقعة ما بين ١٣ - ١٩٨٧/٨/١٥

Digitized by Birzeit University Library

مختارات من الشعر المعاصر في الاورغواي

ترجمة د.محمد عبد الله الجعيدي

(كلية الاداب - جامعة مدريد)

الوطن

البيرتو كارابيو *

لانني لا اذكرك الا مع الالم
المر المبلل الذي ينضج
لأن الممكن فقط هو تغميض العيون
لحظة ، لحظة واحدة فقط ،
لأنني في البريد ارفض اسمي
وتموت الحمامات عند وصولها
لأنني اسمع الموسيقى نائما واتابعها
وأسمعها مستيقظا واتابعها
لأن الباء لا يكفي وواضح انه لا يكفي
وملء الليل بأبناء الزنا
كما لو كان العرى كله يدخل في كلمته
ويرتدي رموزا واصدقاء محبوبين وموتى
باللسان نفسه الذي يعض الطحين
اتألم من مقاطع جافة واسماء شوارع
من الكراسى ارفع عبارات مسلحة فلا تنفع
وانظم اغان فأين الاصابع ؟
آخذ حذائي على عاتق واشرع في حملات
صليبية فلا أصل
اجد مرايا وخرائط وحروف مشابهة
احيانا لشجرة فقط لأقترب وانظر الى نفسي
كيف يكون الالم قاسيا جدا بلا يد بلا كم بلا
قفاز
عندما افتح بابا ارحل ويبدو انني دائما
على الظهر راحل
وفي الليل عند ساعة الرقص في الثكنات
يشقون الطريق الاخير
وجسر الكافور
ومطار كراسكو .

* ولد البيرتو كارابيو في مونتيفيديو (الاورغواي) في العام ١٩٤٦ ، من اعماله "انظري ما اكتب ايتها الفتاة" ١٩٦٦ ، "بين حقيبتين" ، "مونتيفيديو" ١٩٦٩ .

Digitized by Birzeit University Library

امرؤ يرنو من المنفى الى وطنه

ماريو بينيديتي *

وطن اخضر جريح
حقا انه اقليم صغير
وطن فقير
وطن مبتور وخاو
قبر فتي
دم على دم
وطن بعيد قريب
انه لقطة الجلاد
والنخبة للاصفاد
وطن كمان في كيس
او صمت في مستشفى
او فقير حرائات بكر

وطن يرتجف
اردانا وحروفا،
سجنا ومروجا
فردا فردا
ستتسلح ايها الوطن
ايها الشعب
يا شعبي .
ايها الوطن الذي
شردت منه في حياتي وموتي
كما انا بحاجة اليك
ايها الوطن الاخضر الجريح
حقا انك اقليم صغير

* ولد ماريو بينيديتي في بامو دي لوس توريس (الاورغواي) سنة ١٩٢٠ ، من اعماله : " قصائد للاخرين" ١٩٧٣ ، "في مواجهة الجسور المتوحة" ١٩٦٦ ، "الحنين للوطن" ١٩٦٢ ، "احراق المراكب" ١٩٦٨ .

Digitized by Birzeit University Library

قصـــة

(وظيفـــة)

اشرف غيطان - الاردن

تحمل حقيبتك ، ولا تنس جواز السفر ودفتر العائلة وشهادة الجامعة وكل الشهادات : التوجيهي والميلاد ، وخدمة العلم ، والصور الكثيـــرة والمصدقـــة والمليئـــة بطوابع الواردات الحكومية ، والرسالة - في النهاية وجدت واسطة . صديق للعائلة يعرف موظفا كبيرا في عمان ، تضعها في جيبك، وتتحسسها لتتأكد انها موجودة. تودعك امك وهي تدعو لك بالتوفيق وتكاد تبكي لكثرة ما ودعتك ودعت لك بالتوفيق وما وفقك الله. والدك يدس في يدك خمسة دنانير محرجا ، ويبدو الحزن على وجهه. بالامس كانت مشادة بينه وبين الوالدة ، فطوال الاسبوع لم يشتر للبيت سوى البندورة.

هذه عمان ، عاصمة التعب ، عاصمة التخمة والجوع ، عاصمة اليأس والامل. تركب سيارة الاجرة ، توصلك الى اقرب منطقة من تلك الوزارة ، تكمل باقي الطريق على قدميك. تدخل البناية الكبيرة ، شرطي هنا وشرطي هناك. سلاح مشهر. ينظرون اليك بتوجس.مع انك لا تحمل سوى حقيبة اوراق يدوية.

تفتش حتى ما بين فخذيك. يسجل اسمك بالكامل واسم امك ايضا ، تدخل ، السيارات الفخمة بألوانها الزاهية تملأ الساحة. البناية مفروشة حتى البوابة الخارجية بالموكيت.. ترتبك. تنظر الى قدميك اذا كانتا متسختين. ترى الحذاء الذي فقد لونه مغبرا ، تحرج، فانت ستقابل موظفا كبيرا. تنزوي وتمسحه بمنديل ورق مستعمل وجدته في جيبك ، ولا تجد سلة مهملات ، تخفيه في جيبك من جديد. تقرأ الاسماء الكثيرة والالقاب الكثيرة على الابواب كما تقرأ التعاويذ.. في النهاية تجد اسم صاحبك.

مكتب السكرتيرة فخم ، كنبات رأيت مثلها في احد المعارض الضخمة وانت تتمشى في المدينة. سكرتيرة في غاية الجمال والاناقة والنعومة . لا تبتسم لك ، وعندما تعرض عليها الرسالة تطلب منك الجلوس والانتظار. تنظر حولك لعلك تجد كرسيا عاديا مناسبا. لا تجد. تظل واقفا. تؤكد عليك بالجلوس فتجلس على حافة الكنبة بخجل.

يدخل ناس كثيرون. تهدي السكرتيرة لبعضهم ابتسامتها الجذابة ، يغازلونها بكلام لطيف ، يضعون لها اشياء على الطاولة ويدخلون الى الموظف الكبير. تمضي الدقائق ، ساعة.تتعب مؤخرتك من تلك الجلسة الخجلية ، تفكر:"لا بأس بالانتظار - فالغرفة مكيفة.. وقد اخذت احتياطيا، فملأت معدتك بالفول خوفا من ان يحاصرك الجوع من الداخل - لكن من حقي ان اريح مؤخرتي بعض الشيء" تراقب الجلوس.لا احد ينظر اليك ، تحرك مؤخرتك قليلا الى الوراء. تمضي ساعة اخرى ، تشعر بالجوع. فتحاول ان تلهي نفسك. تأخذ بمراقبة الداخل والخارج : السفرجي يحمل صينية الفناجين على ثلاثة اصابع ، السكرتيرة تقصص اخبار الموظف الكبير من الجرائد ، تلمعها في [illegible]

Digitized by Birzeit University Library

خاص، او ترفع السماعة وترد على صاحبه بغنج.

تنظر السكرتيرة في الساعة الالكترونية امامها ، الدوام قارب على الانتهاء تتمطى ، تنهض من خلف طاولتها ، فجأة تحس بوجودك . وكأن ذبابة ثقيلة دخلت اجواءها الهادئة العطرة ، فازعجتها. تفكر قليلا، تدخل غرفة الموظف. يهيأ لك انها ستخرج الان لتقول لك بدم بارد ، ككل مرة كنت تأتي بها الى هذه الدوائر:"ارجع مرة اخرى". يهرب الدم من جسمك .ولا تعرف الى اين.تصاب بالغثيان والدوران. تتسارع دقات قلبك."السكرتيرة بشعة،لئيمة".

تخرج السكرتيرة ، تنظر اليها بعيون متألمة قلقة. تلقي عليك نظرتها الباردة . وتقول لك في النهاية: - ادخل.

تدخل وصدى انك دخلت ، وانك امام موظف كبير يملأ مقعدا دوارا كبيرا ، وذراعاه الضخمتان تحتلان الطاولة الكبيرة المحفورة من خشب السنديان الاحمر المليئة بأجهزةالاتصال. يوجه لك السؤال او التحقيق دون ان يرفع رأسه عن ورقة كان يخط بها.

- اين انهيت الدراسة؟

- ...

- اوه ، اذن كانت لك علاقات سياسية؟

ينبهك الى هذا الموضوع. تراجع نفسك: هل كانت لك علاقات سياسية؟ بالاحرى تحاول ان تفهم ماذا يقصدون من وراء هذا السؤال. تحتار بالاجابة ، فتنفي.

- على كل انا اعطيك هذه الرسالة لكرامة الحاج عندي ، اما الباقي فاخبر الحاج ان لا علاقة لي به.

تأخذ الرسالة ، من دائرة الى دائرة ، من مكتب الى مكتب ، اوراق وتوقيعات ، اذهب وتعال ، اتصل وانتظر ، انتظر جدول التشكيلات ، انتظر الوزير الجديد ، بالتأكيد سيأتي بتغيرات ، من المتوقع ان يكون فلانا، انه يتعاطف مع ابناء منطقتنا . للسنة الثانية وانت في نفس المشاوير . وما زال عندك امل ان تجد عملا. في النهاية ، ينهض موظف من خلف طاولته ويتقدم منك، وبابتسامة عريضة يطلقها لاول مرة في وجهك. يهنئك بالقبول ، ويطلب منك "الحلوان" بدل البشارة . رغم ثقل روح ذاك الموظف الا ان جبلا من الهم انزاح فجأة عن صدرك.

- لكن تعيينك كان على شهادة التوجيهي ، فتخصصك لا يناسب الوظيفة .. لا بأس ، المهم تلصق ، وباقي الامور تهون.

تقول في نفسك ايضا ، لا بأس. والدك ايضا قال : لا بأس ، الراتب قليل ، لك شيئا افضل من لا شيء ، المهم تلصق . في عمان ! ، ايضا لا بأس ، سنبحث عن واسطة جديدة لنقلك . اخوانك كل غنى على مواله.

قالوا لك ،ستتسلم اول راتب بعد ثلاثة اشهر دفعة واحدة.

يمضي اليوم الاول كاطول يوم في حياتك ، فانت تراقب وجود الموظفين السائمة ، يقلبون الجرائد ، يحلون الكلمات المتقاطعة ويقرأون الابراج والاعلانات لبغضهم. تراقب كل شيء ، كل حركة حتى تعتاد عليها. يمضي اسبوع ، اسبوعان . شهر ، شهران . يقترب الراتب ، بقي اقل مما مضى . كل يوم تشطب رقما من الرزنامة . الاسبوع التاسع يستدعيك المدير ، تدخل . عضلات وجهه متقلصة ، عيناه في اوراق امامه ، يشعر بوجودك:

- اذن، مشاكلك كثيرة ونحن لا نعلم.

تفاجأ، تنفض رأسك ، ماذا تسمع! تراجع اسابيع عملك بلمحة ، لم تكن لديك اية مشاكل مع احد ، لم تتأخر يوما عن عملك ، حتى في تلك الايام التي اصبت بها بالتهاب اللوز.

- ماذا جرى يا سيد..

- كتاب فصل من المخابرات.

يطردونك من جديد. تحمل جسدك المنهار، ورأسك الذي يدور . تخرج من الدائرة . تسير لا تلوي على شيء . شيء واحد يقرع جدران جمجمتك، سؤال: ما العمل بعد الان؟

Digitized by Birzeit University Library

قصـــة

"لازم نضّف"

مصطفى مرار

قالوا : "يا ابا ماجد، امسك في منحوسك ، او يجيء انحس منه ، ما بدك ترد." .

وقالوا: "يا ابا ماجد، امسك عليك دراجتك، وما لك بركه مثل "البسكليت". لكن ما بدك تسمع!".

وكيف يسمع "ابو ماجد" ممن هم مثله، او دونه ، وهو الذي نشأ على أنه ابن مختار ، و"المخترة" حلمه الذي ما زال يسعى وراءه منذ نصف قرن من الزمان ، وهو لا يطيق الاعتراف بأن المخترة قد خرجت من حمولته ، يوم خرج ابوه من هذه الدنيا.

ورغم كل العقبات ، وبرغم كل التقلبات التي مرت على ابي ماجد ، وظلت تطوح به وراء الرزق ، من قرية الى مدينة ، ومن دولة الى امارة ، فهو لم ينس، لحظة واحدة ، انه صاحب الحق الشرعي في المخترة ، وانها لا بد عائدة في عشيرته ، وهو سيرحب بها ولو تحققت في عزبة نائية لا تضم غير اربعة منازل.

وفي احد المنعطفات ، في الطريق الى المخترة ، افلح "ابو ماجد" في تحقيق بعض حلمه في الزعامة ، يوم غدا شيخا للنواطير. وهو يقول عنهم"نواطير بخر الزمان".

وحين اشار بعض معارفه ، الى ذلك "الانجاز العظيم" كان "ابو ماجد"ي يتنهد ، في حرقة ، ويقول:

لكن النواطير ، نواطير اخر الزمان ، هؤلاء ، برغم انهم يعتمرون القبعات ، ويتمنطقون بالمسدسات ، فهم لن يبلغوا مراتب المخاتير ، الذين يتسلحون بالاختام ويستقبلون في مكاتب الحكام. واذا كان النواطير في هذه البلاد قد صار ، منهم القادة والضباط ، والحكام العسكريين ورؤساء البلديات والوزراء ، فهم ما زالوا ، في نظري ، نواطير ، اولاد نواطير.

وها ان ابا ماجد طريح الفراش ، فهو فقد اصبعين ، كانا ترجمانه حين يقف ، في الناس، خطيبا:

"احنا لازم نعمل" و"احنا لازم نسوي!" و"احنا.." و"احنا".

الى ان تغرب الشمس ، فيدخل الى فراشه ، وينام مبكرا كالدجاجات.

وماذا ستفعل يا "ابا ماجد" بعد ان حصل الذي حصل ، وفقدت الاصبعين ؟!

يوم اغتصبت الزيتونات والبير والحظير ، وضمت الى "القبنية"(١) نفقت البقرات جوعا ، والدجاجات عطشا. ويوم خلا البيت من كل ما يرطب اللقمة . ولم يبق فيه غير "عجنة" واحدة ، لم "يكسر نفسه" ويعمل في مزارع او معامل البلد ، لكنه توجه الى مكتب العمل ، فالقى به "الوكيل" في احدى شاحنات العمال، دون ان يذكر له نوع العمل ، ولا مكانه ، او اجرته.

وفي الطريق ، افرغت الشاحنة ، من حملها ، على دفعات ، فكانت تلقي بعدد من العمال ، عند باب احد المصانع ، ومثلهم ، او اكثر ، او اقل منهم ، امام بوابة احدى البيارات ، او المزارع، او الحظائر.

ولما لم يبق غير ابي ماجد وكهلين اخرين ، فقد توقفت الشاحنة عند مصنع "القراقيش".

عندما سار "ابو ماجد" يتقدم صاحبيه ، في الممر الطويل ، اخذ بالعدد الهائل من الرزم

Digitized by Birzeit University Library

المكدسة على الجانبين ، والتي تحمل رسم المصنع وصورة "للقراقيش" ، واخرى لسنابل القمح . ملأت انفه رائحة خبز افرنجي، طري ، ساخن ، معطر.لم تكن تلك الرائحة صادرة عن الرزم المكدسة، لكنها قادمة اليه ، او هي تستقبله ورفيقيه، من نهاية الممر ، حيث يلوح لهم ، هناك ، لهب الافران . حتى اذا اشرف "ابو ماجد" وصاحبيه ، على القاعة الكبيرة ، بهرتهم حركة العمال الدائبة ، ورطانة الالات ، عاجنها ، وقاطعها ، وخابزها، ولو ترك الكهول الثلاثة فلربما امضوا النهار كلهث ، يتفرجون ، ويشمون ، لا يريدون وراء ذلك شيئا.

لكن صوتا ، جاء من ورائهما :

- على فين ، يا خبيبي؟!

كان "ابو ماجد" قد استمد من رائحة "العيش، كثيرا من الجرأة ، ثم هو يعرف "كلمتين عبراني" من ايام "النطرة" ، وهو بطبعه ميال الى القيادة ، فهو تصدى للسائل واجاب "بالاصالة عن نفسه ، وبالنيابة عن زميليه" وبما يعتقد انها لغة الخواجا:

- انحنو، يا أدون، جينا هون ، لازم بشتغل في واخد قراقيش!"

بالنسبة للخواجا، كانت ، تلك، لعنة ثالثة ، عليه ان يتعلمها ، لكنه، مع ذلك"استنتج" ما هو بحاجة اليه، فقال وهو يحسب انه يتكلم العربية:

- يللە، يا ولد.. انتو لازم امش ورايا!

وسار الموكب يتقدمه الخواجا ، حتى اذا بلغ دكة ، يعلوها عدد من انصاف البراميل ، اشار اليها ، ثم التفت الى فريق العمل الجديد:

- انتو، هون، لازم نصف، وبعدين، وديه في الزبل!

نظر "ابو ماجد" حوله ، وفوقه ، وعلى الجانبين ، كان هناك عشرات من العمال ، يرتدون ملابس بيضاء نظيفة ، ويعتمرون قبعات منشأة ، ويضعون، على وجوههم، اقنعة جميلة ،عرف، فيما بعد ، انها لوقاية العينين والرئتين ، من غبار الدقيق.

وبرغم ان الفرسان الثلاثة ، هم اول من يستقبل غبار الدقيق الذي تنفثه الالات ، فان احدا لم يتنازل ، حتى بسؤالهم ، ان كان ذلك الغبار يضايقهم!

والفرسان الثلاثة ، كانوا ينتعلون مشايات من اللدائن ، تستحلب العرق ، وتستدعي الالتهابات. بينما عمال المعاطف البيضاء، يضعون اقدامهم الناعمة في احذية جميلة ، وتحمي من الصدامات.

الالة التي تواجه ابو ماجد ، يبدو عليه انهم والشراهة ، فهي تمد السنة لا عد لها ، فتلتهم قطع العجين ، ثم تعالجها باذرع اخطبوطية ، وتقذف بها الى اوعية يقوم العمال البيض بتعبئتها وتغليفها. ثم يلقى اليهم ، الى الفرسان الثلاثة ، بسيل من فتات القراقيش ، عليهم معالجته ، طبقا لتعليمات الخواجا :"انتو هون، لازم نضف. وبعدين، وديه في الزبل".

منذ التحق "ابو ماجد" بالعمل في هذا المصنع ، مع زميليه ، لم يحس ميلا الى تلك الالات ، برغم انه ، في طفولته ، كان يرافق اباه الى البيارة ، حيث يجافي كل متعة ، الا الوقوف. في تعبد ، امام المحرك الضخم ، الذي يتربع فوق عرش من الاسمنت المسلح ، ويحرك المضخة التي تعب الماء من اعماق الارض ، ثم تضخه في الانابيب الفولاذية الى انحاء البيارة.

المصانع والمعامل والمزارع كلها ، لا تقوى على الاستمرار ، اذا لم تختلط اللغة والاصوات العربية ، بضجيج الالات ، وصراخ المديرين ، ونفير السيارات والشاحنات . وبها يصدح "الترانزستور" ويتخاطب العمال، وبها تسمع الاوامر وتلقى النواهي ، وتقذف الشتائم . لكن الفرسان الثلاثة ، هنا ، لا يسمعون نأمة واحدة بلسانهم.

Digitized by Birzeit University Library

واليوم ، فقط، بعد ان ضاعت اصابع ابي ماجد ، جاء ، يعوده ، واحد من اولئك العمال الذين سبقوه الى مصنع القراقيش ، واخبر ان اي عامل ، غير ابيض لم يحتمل البقاء في ذلك المصنع غير بضعة ايام ، او اسابيع ، وما منهم ، الا و "ترك" هناك اصبعا ، او يدا ، او عينا.

ولما سأله "ابو ماجد" عن التعويض الذي يتلقاه المصاب ، كشف الزائر النظارة السوداء ، عن عين منطفئة ، وقال بصوت يختنق بالاسى:

هل ترى ؟ اربع سنوات قضيتها ساعيا على قدمي و ..رأسي، تتقاذفني مكاتب العمل والتشغيل ، والمحاكم ، والتأمين. وكان آخر رد "ملزم" تلقيته ، هو ما اقرته المحكمة ، بأن "يركبوا لي عين قزاز!" وان يدفع لي صاحب المصنع "ورجله فوق رقبته" تعويضا عن اجر الايام التي قضيتها في المستشفى ! هل تدري عدد تلك الايام ، ايها الاخ؟ انها ثلاثة ، يوم للدخول، ويوم للخروج ، وبينهما يوم "للعلاج" وهو كان كافيا لأن يقلعوا ، فيه ، عيني!"

جلجولية

Digitized by Birzeit University Library

قصـــة

ميلاد فجر

محمد ابو رجب

(١)

اين انت يا خالد.. كم احتاجك الان .. والان بالذات .. عرق يتصبب من الجبهة والاطراف. ذهبت وتركتني وحيدة.. وهذه الليلة بالذات ؟؟؟! افتقدك لتشد على يدي ولتكون اول من يراه.. سيكون ولدا كما تمنيت.. ، تقبض على كف العمة.. تعتصرها بكل قوة.. اتمنى لو كانت يدك.. تزفر صرخة مكتومة تمسح العمة حبات عرق تجمعت على الجبهة .. تجلدي يا ابنتي .. سيكون كل شيء على ما يرام .

يا فاطمة .. ينطلق الصوت من حنجرته عاليا مدويا.. فيصطدم بالجدران الخراسانية العالية يرتد الى صدره مخترقا مسامات الجلد ليستقر في القلب المكسور بنباح كلاب مسعورة يعلو وعواء ذئاب جائعة يخترق طبلة اذنه ليبعث مزيدا من الرعب ويحاول خالد تحريك قدميه المسمرتين على الارض الملتهبة.. يا فاطمة.. تتحرك الاسوار باتجاهه. تزداد اقترابا منه ، والكلاب تقترب .. يحاول تحريك قدميه.. صليل السلاسل الحديدية يصم الاذان ، فلا يسمع صوته.. يا فاطمة.. تطول الاسوار والكلاب تتضخم لتصبح بحجم بغال برية.. يرتعد .. يحاول تحريك قدميه للمرة الالف.. والاسوار تزداد اقترابا وارتفاعا فتكاد تحجب الشمس ، يصرخ يا فاطمة..

(٢)

يا خالد.. تصرخ فاطمة .. تمسك وسادة بجانبها..تغرز فيها اصابعها. تضمها للصدر الشاب..تعضها بأسنانها.. والعمة تحوم كنملة في المكان الضيق .. الجسد الناعم يتفتق.. تستشعر الما مخيفا.. "لأن هذه اول ولادة لك تشجعي يا ابنتي، سيفرح خالد بولده "تقول العمة".

وأين انت يا خالد.. تسقط دمعة من عينيها العسليتين لتختلط بحبات عرق تجمعت على الوجه المتورد "سأحضر ام على القابلة.. ولكن تجلدي قليلا.. سأخبره في الزيارة.. سيفرح كثيرا".

رأها اول مرة.. كان يقصد رفيقه محمود.. استقبلته فاطمة على باب الدار وحياء عذري يمتزج بكلماتها الواثقة.. "انت خالد؟؟" "ولم تنتظر جوابا "يقول لك اخي محمود انه سيلقاك غدا في نفس الموعد".

تذكر خالد كل ذلك وصرخ يا فاطمة...

(٣)

رأته اول مرة على باب الدار.. كان طويل القامة.. بوجه شاب فيه حزم..لم يطل النظر اليها وهذا اعطاها فرصة للتأمل فيه. احست فيه الفارس.. كان لقاء سريعا وباتت فاطمة ليلتها تحلم بالفارس وعدت الساعات والدقائق. وجاء اليوم الثاني بكل الخير ، دخل خالد مع محمود الى غرفته.. تحدثا لفترة ليست بالوجيزة.. خرج بعدها خالد وعيناه تكادان تقفزان من محجريهما.. كان يبحث عنها.. التقت العيون.. ورعشة لذيذة انتشرت في الجسد الشاب.. اخفضت عينيها وابتسمت.. انطلق كالسهم خارجا واختفى وراء الباب.. افاقت على صوت محمود.

Digitized by Birzeit University Library

- " ما رأيك.. لقد طلبك خالد مني اليوم؟..

لم أكن في ظروف تسمح لي بالزواج.. ولم افكر بذلك من قبل.. واستطاعت فاطمة ان تشدني.. وتزوجتها بعد اول لقاء بأسبوعين.. كان قراري صائبا.. فقد رأيت فيها كل ما حلمت به في رفيقة عمري..

(٤)

ما ان اغلق باب الغرفة حتى امسك خالد بكتفي.. كانت يداه قويتان.. ضمني لصدره الواسع الشاب بعنف.. الفة غريبة انبعثت بيننا. طوقت عنقه بذراعي .. ابعدته قليلا.. نظرت في عينيه الحادتين كعيني صقر جبلي.. وغبت في عالم اخر.

أحس بجسدها البض عندما طوقها بذراعيه.. فتفتحت ازهار الشوق في جسدها..ضمها بعنف وتوحد فيها..وحب غامر طاف بهما وباركهما اله الحب.

(٥)

دمعة نزلت على خده.. صرخ يا فاطمة !! كانت صرخة مدوية.. اصطدمت بالاسوار الخراسانية..تهاوت .. لفظت الكلاب المسعورة.. وغاب نباحها المسعور وانطلق خالد يجري فوق الركام.. يا فاطمة..

احست بكفه تمسح حبات عرق تجمعت على جبهتها ووجهها المتورد.. ودفء طمأنينة انتشر في الجسد.. أه يا خالد.. تمسك بوسادتها.. تفرز اصابعها في الوسادة تتأوه.. تصرخ.. يا خالد..

(٦)

انتفض خالد على كف تهزه برفق.. افاق.. جلس على برشه في ركن الغرفة (١٠) فتح عينيه واغمضهما.. كما يستشعر الما في جسده كله.. ابصر رفاقه يتحلقون حوله وابتسامات تشجيع على شفاههم.

- "يبدو انك رأيت كابوسا" قال احد رفاقه.

افاقت فاطمة على صرير الباب.. فتحت عينيها ببطء شديد.. ابصرت العمة وتبعتها القابلة مهرولتين للغرفة.. صراخ طفل.. انتظرته المرأتان وخالد طويلا اخترق طبلة الاذن.. تهللت اساريرهن جميعا وزغرودة مجلجلة انطلقت من بين شفتي العمة.. واين انت يا خالد".

(٧)

كان يجلس متوترا خلف "الشبك" وعيناه القلقتان معلقتان على الباب الحديدي الذي يدخل منه الزوار يبحث عن وجه افتقده كثيرا.. واخيرا وبعد دقائق احس بها دهورا.. ابعد وجه أمه مشرقا.. توقف قلبه عن الخفقان ناداها.. اقتربت.. -"مبروك يا خالد.. مبروك يا ولدي".

تسارعت ضربات القلب.. ورقص القلب.. احس به خالد.. كاد يقفز من مكانه فرحا.. "فاطمة بخير وصحتها عال.. والطفل يشبهك تماما ماذا ستسميه؟.. انتظرنا الزيارة حتى تسميه انت".

اجاب خالد بصوت أبوي "سموه ثائر"

Digitized by Birzeit University Library

وثائق

الحركة المسرحية في المناطق الفلسطينية المحتلة

اعداد : جميل السلحوت

٢ - المسرح الشعبي سنابل

واحدة من ابرز همومنا الثقافية في عدم توثيق هذه النشاطات والفعاليات من ناحية ، او "اختصار" بعض الحقائق و"اهمال" بعض الفعاليات من ناحية ثانية .

وهذا "الاختصار والاهمال" يقع في غالب الاحيان ضمن اطار "تعمد تغييب بعض الاتجاهات وانكار دورها" فضلا عما تلقاه من نكران وجحود ممن ارادوا لانفسهم دور الوصاية عل الثقافة.

يقولون : هكذا .. والا فلا !

ويتبجحون : نحن من قبل ومن بعد ، ولم يكن قبلنا الا قبض الريح ، ولن يكون بعدنا الا الطوفان !

وتضيع الحقائق ، ويصبح الطاووس ، او ريشه الزاهي وحده ، بلبلا غريدا، ويخطب اسم البلبل من قاموس الحقائق. ويصبح التاريخ ارجوحة تعلو بفارس زمنا ، وتهبط بمن تقف "الصدفة" عنه الريش .

ان خلف الريش الزاهي طيرا منامرا اعجفا ، فلا هو باللحم ولا بالشحم ، والقائد للشيء لا يغني به عن شيء حقيق ، فلا يرد غائلة، ولا يسد وحظة.

كان طموح "الكاتب" دائما توثيق هذه النشاطات والفعاليات الثقافية في المناطق المحتلة، وكان دافعها ان تكون "الحقيقة" هي "الوثيقة" التي لا تضيع ولا تنسى ، وقد رأت هيئة التحرير ان تتوجه الى اصحاب هذه الفعاليات انفسهم ، من كل منحى فني او فكري ، لأن يقولوا كلمتهم الوثيقة هم انفسهم في مرآة ذاتهم.

سنتناول في كل "وثيقة" مجموعة او فردا مبدعا ، ليقول كلمته، دون حجاب او عتاب ، وسيكون دورنا الاصغاء ، كل الاصغاء.

اننا ندعو كل الفعاليات الثقافية للتعاون مع محرر هذه الوثائق ، ليستطيع بدوره ان يرفع صوتها ... للحقيقة والتاريخ .

Digitized by Birzeit University Library

المسرح الشعبي "سنابل"

تأسست هذه الفرقة الرائدة في الخامس عشر من كانون اول عام ١٩٨٤ من مجموعة من الفنانين الذين عملوا منذ سنوات في مجال المسرح ولهم باع طويل في هذا المجال.

وقد اختاروا ان تكون فرقتهم مسرحا للشعب اي تعبيرا عن هموم الجماهير الكادحة فهي شغلهم وهمهم بصفتهم القطاع الاوسع والاكثر نقاء وتضحية . ومن هذا المنطلق فهم يقدمون مسرحيات تحمل في طابعها رسالة ثورية فيتجاوب الشعب الكادح مع مسرحه الشعبي ، فتنفض القاعة بابناء الكادحين والمثقفين الثوريين . وهكذا اصبح من المعروف ان ثلاثة عروض لافتتاح اي عمل جديد لهذه الفرقة لم تعد كافية لاستيعاب الجماهير التي اصبحت واثقة من ان المسرح الشعبي هو المعبر عن امالها والامها.

نشاطات المسرح الشعبي "سنابل"

قدمت فرقة المسرح الشعبي "سنابل" مجموعة من الاعمال المسرحية والنشاطات الفنية الرائدة نعرض لها فيما يلي:

* مسرحية"المهرجان"،تأليف واخراج - احمد ابو سلعوم

تمثيل : ابراهيم عثمان عليوات، محمود ابو الشيخ،اكرم كاشور، حمدي الطويل، الطفل نضال ابو سلعوم، الطفل سمير الصفدي، احمد ابو سلعوم وحسام ابو عيشة.

تتحدث المسرحية عن الخلافات العربية وكيفية اعطاء الصراعات الثانوية الاولوية على القضايا المصيرية للامة العربية ، وتحمل في طياتها رسالة تقول "اللي بفرط في الديك ، بفرط في البقرة ، واللي بهون عليه صغيرة ، اكيد بهون عليه كبيرة" وهي دعوة صريحة للتمسك بالحقوق الوطنية المشروعة للشعب الفلسطيني وعلى رأسها حقه في اقامة دولته المستقلة.

وقد بدأت عروضها في اذار ١٩٨٥ حيث قدمت خمسة عشر عرضا في القدس، بيت لحم وبيت ساحور .

* مسرحية "سيدي الجنرال" وهي من اعداد واخراج حيان يعقوب.

حيث اعدت من ثلاث مسرحيات هي "الجنرال للكاتب الايراني غلام حسين ساعدي" و"الدكتاتور" للكاتب اللبناني عصام محفوظ و"انشودة الدم للدكتور مصطفى محمود".

ومثلها : ابراهيم عثمان عليوات وحسام ابو عيشة.

وتتحدث المسرحية التي افتتحت في تشرين اول ١٩٨٥ وقدمت في عشرة عروض عن مفهومي الحرب والسلام وعن اسلوب الانقلابات العسكرية في دول العالم الثالث.

* مسرحية "كلاب وارقام" اعداد واخراج احمد ابو سلعوم .

حيث اعدها عن "مأساة بائع الدبس الفقير وجثة على الرصيف" للكاتب السوري سعد الله ونوس ومثلها : احمد ابو السلعوم ، حسام ابو عيشة ، ابراهيم عثمان عليوات ، محمود ابو الشيخ ،

Digitized by Birzeit University Library

ايمان سرحان ، اسماعيل جابر ، اكرم كاشور ، حيان يعقوب والطفلة نسرين ابو سلعوم وعماد مزعرو.

افتتحت في اذار ١٩٨٦ وقدمت في ستة عشر عرضا في القدس ، ام الفحم ، بيت لحم وبيت ساحور. وهي تشرح سلبيات "الاغلبية الصامتة".

• مسرحية "تغريبة عدنان بن قحطان" وهي تأليف جماعي للفرقة واخراج حيان يعقوب وتمثيل : حسام ابو عيشة ، احمد ابو سلعوم ، ابراهيم عثمان عليوات ، محمود ابو الشيخ ، ايمان سرحان ، اميمة نصار، مروة محمود وفيوليت فراج.

وتتمحور المسرحية حول الانسان العربي الفلسطيني تحت الاحتلال وفي ارض اللجوء وعلاقته مغ الانظمة العربية ، بالاضافة الى معالجة مشكلة الهجرة وذلك من خلال الشخصية الشعبية . وهي مسرحية كوميدية تميزت بديكورها المتواضع الذي هو عبارة عن طاولة ، كرسي ، تلفون ، وواجهة سجن.

افتتحت المسرحية في ايلول ١٩٨٦ وقدمت حتى الان ثلاثة وخمسين عرضا ولا تزال تعرض حيث قدمت عروضا لها في جامعة بيرزيت ، وجامعة بيت لحم ، رابطة الخريجين الجامعيين في الجولان ، كلية الاداب في دار الطفل ، مدرسة دار الطفل ، جمعية خريجي المعاهد والكليات المتوسطة ، مدرسة المطران ، مدرسة دار الاولاد، جمعية اصدقاء المجتمع في الثوري ، مدرسة الفرير ، رابطة العمل مع المعاقين بيت لحم ، مؤسسة جبل الامل العيزرية، جامعة بئر السبع، الجامعة العبرية - القدس ، جامعة بار ايلان ، جامعة حيفا، معهد التخنيون - حيفا،بالاضافة الى العروض العامة في الحكواتي.

• مسرحية "سبق صحفي" اعداد المسرح الشعبي"سنابل"واخراج حيان يعقوب. وتمثيل :حسام ابو عيشة ، محمود ابو الشيخ ، ابراهيم عليوات ، احمد ابو سلعوم.

ويمكن تلخيص المسرحية التي قدمت في ٨٧/٣/٢٧ بمناسبة يوم المسرح العالمي الذي اقامه المسرح الشعبي بالتعاون مع الفرق الاخرى - يمكن تلخيصها بالمثل الشعبي "موت الفقير وتعريص الغني ما حدا بدري فيهم" وسحبها على الواقع السياسي العربي والفلسطيني المعاش.

• مسرحية "ناطرين فرج" وهي من اعداد المسرح الشعبي "سنابل" حيث قامت الفرقة بأبحاث ميدانية في مناطق مختلفة ومع قطاعات واسعة من شعبنا حتى استطاعت سحبها على الواقع المعاش بعد ان استوحتها من مسرحية "ووزا البرت" لمسرح السوق في جنوب افريقيا والمسرحية تبدأ باغنية:

"جوه السور وبره السور
لا تستنى يطلع نور
اضوي العتمه بشمعة ايدك
خلي عيونك تطلع نور"

وهي تعالج الواقع المعاش وتحارب الاعتماد على الغيبيات.

اخرج المسرحية حيان يعقوب ومثلها :حسام ابو عيشة ، احمد ابو سلعوم ، محمود ابو الشيخ، وابراهيم عليوات.

وقد اظهرت المسرحية الامكانيات الهائلة لهؤلاء الفنانين الذين مثلوا دور ثلاثة وخمسين شخصية باتقان ومقدرة فائقتين.

قدمت المسرحية عروضها في ١٦-١٧-١٨

Digitized by Birzeit University Library

تشرين اول ١٩٨٧ واوقفها مجلس الرقابة على الافلام والمسرح بتهمة "ان المسرحية "تمس بأمن الدولة ، وذات طابع تحريضي، ومضللة للرقابة" وبعد عدة جلسات مع الرقابة العسكرية تم الافراج عنها.

- في ٨٧/٧/٢٦ قامت الفرقة بتحريك وانطاق عدد من رسومات الكاريكاتير للشهيد ناجي العلي وذلك في الحكواتي ، سرية رام الله ، شفا عمرو ، اللجان الشعبية للخدمات الطبية ، جامعتي بيرزيت وبيت لحم.

واقامت الفرقة ثلاث سهرات في ١٢/١٥ من كل عام ذكرى تأسيس الفرقة وشارك فيها عدد من الفرق المسرحية الاخرى.

مشاريع مستقبلية:

جولة في الخارج قريبا لعرض مسرحية "ناطرين فرج" في الولايات المتحدة الامريكية والمانيا الغربية وربما بريطانيا. كما يعملون على تصوير سينمائي للمسرحية بالاتفاق مع المخرج "رشيد مشهراوي" ويعملون على طباعة كتيب باللغتين العربية والانجليزية عن الفرقة.

مميزات خاصة:

تتميز سنابل بقضيتين اولاهما : محاولة الانتشار وكسر القوقعة عن المسرح المحلي.

وثانيهما: التفرغ: وذلك من اجل تطوير الفرقة بشكل كبير وجدي من خلال الاحتراف واعتبارا من ٨٧/٧/١ قامت الفرقة بتفريغ كل من : حيان يعقوب ، حسام ابو عيشة ، ابراهيم عثمان عليوات ، محمود ابو الشيخ واحمد ابو سلعوم.

التمويل:

يعتمد تمويل الفرقة على الدخل من العروض والتبرعات فعلى سبيل المثال قدمت مؤسسة التعاون في جنيف للفرقة جهازي اضاءة وصوت بتكلفة خمسة وثلاثين الف دولار مما اتاح للفرقة فرصة التجول والانتشار في المدن والقرى.

مؤسسو واعضاء المسرح الشعبي "سنابل" الحاليون:

١) **احمد ابو سلعوم:**

- مواليد القدس عام ١٩٥٣ ، من مؤسسي الحركة المسرحية في الاراضي المحتلة ، شارك في تأسيس فرقة المسرح الفلسطيني سنة ١٩٧٣ والمسرح الشعبي الفلسطيني سنة ١٩٨٠ بالاضافة الى المسرح الشعبي "سنابل" ١٩٨٤.
- مثل اكثر من ست عشرة مسرحية اولها "الرقاصين" عام ٧٢.
- اخرج اربع مسرحيات هي "مراكز تفتيش عام ١٩٧٥" و "الانسان قضية المأخوذة عن "عائد الى حيفا" عام ١٩٨٠ " و"المهرجان عام ١٩٨٥" و "كلاب وارقام عام ١٩٨٦".
- كان عضوا اداريا في "لجنة العمل والتطوير الفني الفلسطيني عام ١٩٧٤.
- عضو في رابطة الصحفيين الفلسطينيين في الاراضي المحتلة.
- لعب الدور الرئيسي في فلم "رجال في دير الزيتون".
- لعب دورا في فلم "عرس الجليل".

٢) **حسام ابو عيشة:**

- مولود في القدس عام ١٩٥٩ ، بدأ حياته

Digitized by Birzeit University Library

الفنية عام ١٩٧٠ مقلدا لاصوات الزعماء والفنانين.

- مثل في اثنتي عشرة مسرحية مختلفة اولها مسرحية "عند اللزوم".

- اسس فرقة جمعية الشبان المسلمين وكتب واخرج لها مسرحية "مين المسؤول" عام ١٩٧٩

- من مؤسسي المسرح الشعبي الفلسطيني عام ١٩٨٠.

- مثل في فلم "عرس الجليل".

- اشرف على عدة نشاطات فنية لدى عدد من المؤسسات الوطنية.

- اعتقل لمدة ثلاث سنوات.

٣) ابراهيم عثمان عليوات:

- ولد في القدس عام ١٩٦٢ ، بدأ حياته الفنية مبكرا.

- مثل في ست مسرحيات كان اولها مسرحية "العاجز".

- اخرج مسرحية للطلبة العرب في الجامعة العبرية.

- ساهم في عدد من الاسكتشات المسرحية التي اقامها اتحاد لجان الطلبة.

- مثل في فلم "عرس الجليل".

٤) محمود ابو الشيخ:

- من مواليد القدس عام ١٩٦٠ . بدأ عمله في المسرح من خلال الاشتراك في اسكتشات مسرحية في عدد من المؤسسات المحلية.

- شارك في تمثيل ست مسرحيات كان اولها مسرحية "المهرجان".

- مثل في فلم "عرس الجليل".

٥) حيان يعقوب:

- مولود في القدس عام ١٩٦٠.

- ساهم في تأسيس عدد من الفرق المسرحية "بيسان، المسرح التجريبي والرحالة".

- عمل لفترة مع فرقة المسرح الفلسطيني حيث اخرج عددا من المسرحيات هناك.

- مثل في سبع مسرحيات اولها "رجال لهم رؤوس".

- اخرج ثماني مسرحيات عدا العديد من المشاهد والاسكتشات المسرحية.

- درس الاخراج المسرحي في العاصمة البلغارية صوفيا والعاصمة السورية دمشق .

- مثل في فيلم "عرس الجليل".

٦) اكرم ابراهيم كاشور:

- مولود في القدس عام ١٩٥٠.

- التحق بفرقة المسرح الفلسطيني عام ١٩٧٧.

- شارك في تأسيس المسرح الشعبي الفلسطيني عام ١٩٨٠.

- مثل في سبع مسرحيات اولها مسرحية "الطاعون".

- شارك مع حسام ابو عيشة في تاسيس مسرح جمعية الشبان المسلمين عام ١٩٧٩.

- قدم عدة اعمال فنية في عدد من المؤسسات الوطنية.

هؤلاء هم الاعضاء المؤسسون اما الاعضاء العاملون الاخرون فهم :

١) ايمان سرحان :

- مولودة في رام الله عام ١٩٦٤ وتعمل ممرضة في مستشفى العيون بالقدس ، برزت موهبتها الفنية من خلال اسكتشات في المهرجانات الجماهيرية.

التحقت بالمسرح الشعبي "سنابل" عام ١٩٨٦.

Digitized by Birzeit University Library

- مثلت في مسرحيتي "كلاب وارقام" و"عدنان بن قحطان".

٢) فيوليت فراج:

- مواليد طرعان - الناصرة - عام ١٩٦٤.
- تدرس المسرح في الجامعة العبرية في القدس.
- انضمت للمسرح الشعبي "سنابل" عام ١٩٨٦.

- شاركت في تمثيل مسرحية "تغريبة عدنان بن قحطان" وعدد من الاسكتشات.

وهناك العديد من الشباب الهواة الذين يقدمون الخدمات ويشاركون في المسرحيات والاعمال المتعلقة بالفرقة منهم :

١) اسماعيل جابر - بيت حنينا / القدس.
٢) نعيم البياع - مخيم شعفاط / القدس.
٣) اميمة نصار - الطور / القدس.
٤) نظام ايوب - نحف - عكا.
٥) سعيد سلامة - شفا عمرو
٦) مروه محمود - ابو ديس - القدس.
٧) حمدي الطويل / القدس.

مشاكل :

هناك عدة مشاكل تواجه الفرقة اهمها الرقابة حيث منعت مسرحية "ناطرين فرج" على سبيل المثال من العرض ولم يفرج عنها الا بعد تحقيقات مطولة.

كما ان العنصر النسائي يعتبر مشكلة ايضا ، حيث ان القيود الاجتماعية لا تسمح للفتاة بالتنقل خصوصا في الليل والى اماكن بعيدة عن مكان سكنها. كما ان هناك النقص في الكتاب المسرحيين.

اما بالنسبة للجمهور:فيقول الفنان حسام ابو عيشة : المسرحيون مطالبون بالوصول الى الجماهير لا العكس وهذا ما تفعله سنابل.

ملاحظة: نشكر كلا من : حسام ابو عيشة ، احمد ابو سلعوم ، ابراهيم عليوات ومحمود ابو الشيخ وحيان يعقوب على المعلومات القيمة التي زودونا بها عن الفرقة.

المسرح الشعبي الفلسطيني

في تشرين اول ١٩٧٨ انسحب عدد من الفنانين من فرقة المسرح الفلسطيني وهم: حسام ابو عيشة ، اكرم كاشور، احمد ابو سلعوم ، وحمدي الطويل . وقد ارتأوا مع عدد من المهتمين بالمسرح اقامة فرقة مسرحية يستطيعون من خلالها تطوير العمل المسرحي وتجذير رسالته وبالفعل قاموا بتأسيس فرقة "المسرح الشعبي الفلسطيني" حيث انضم اليهم في مرحلة التأسيس كل من : عبد دنديس، فريد الطويل وحمدي فراج.

وقد بدأوا نشاطهم بعمل مسرحي ضخم عندما قدموا مسرحية "الانسان قضية" المأخوذة عن رائعة الشهيد غسان كنفاني "عائد الى حيفا". وقد اعدها مسرحيا عدد كبير من المهتمين بالفكر والثقافة والفنون واخرجها احمد ابو سلعوم وذلك في منتصف عام ١٩٧٩. ومثلها كل من : حسام ابو عيشة ، حمدي الطويل ، اكرم

Digitized by Birzeit University Library

كاشور ، سفيان المعايطة ، هشام حمدية ، اسمى صديق ، ناريمان ابو عيطة ، باسم ابو عيطة واحمد ابو سلعوم.

ولاقت المسرحية عندما عرضت في سينما الحمراء في نيسان ١٩٨٠ اقبالا جماهيريا منقطع النظير حيث حضرها في عرضين متتاليين ما يزيد على الفي مشاهد. وبعدها عرضت على ارض الملعب في ام الفحم وشاهدها الالاف.

وقد نشرت الصحف العبرية في حينه اخبارا تحريضية ضد المسرحية على صدر صفحاتها مما جعل البوليس يقتحم احدى العروض في قرية كابول الجليلية واقتاد اربعة من الممثلين ، مما ادى الى تعطيل العرض اكثر من ساعتين . ورغم ذلك بقي اكثر من الف مواطن يرددون الاهازيج معلنين اصرارهم على مشاهدة المسرحية ومنددين بالاجراءات التعسفية للبوليس الاسرائيلي.

وفي سخنين كانت قوات البوليس الاسرائيلي في مكان العرض قبل حضور الفرقة ، واخذت هويات اعضائها ، وتحددت محاكمتهم في محكمة صلح عكا وكذلك حقق مع اعضاء الفرقة في مركز المسكوبية في القدس.

وفي شهر آب ١٩٨٠ اعتقل عدد من اعضاء الفرقة مما ادى الى تجميدها . وقد قدمت عدا عن مسرحية "الانسان قضية" مجموعة من الاسكتشات المسرحية في عدد من المؤسسات الوطنية.

** نشكر احمد ابو سلعوم وحسام ابو عيشة لتزويدنا بالمعلومات عن هذه الفرقة.

Digitized by Birzeit University Library

المؤتمر العاشر

لاتحاد كتاب المانيا الديمقراطية

في برلين ، عاصمة جمهورية المانيا الديموقراطية ، عقد اتحاد الكتاب الالمان مؤتمرهم العاشر ، بمشاركة ٢٨٠ مندوبا من اصل الف عضو تقريبا بالاضافة الى ثلاثين ضيفا يمثلون ستة عشر اتحادا كان من بينها اتحاد الكتاب الفلسطينيين في الارض المحتلة ، والذي مثله رئيس الاتحاد الشاعر اسعد الاسعد ، كما شارك احمد عبد الرحمن الامين العام للاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين في الجلسة الافتتاحية حيث غادر برلين الى براغ للتوقيع على تجديد الاتفاق المبرم بين اتحاد الكتاب التشيكوسلوفاكيين والاتحاد العام.

استمرت اعمال المؤتمر ثلاثة ايام ٢٤ - ٢٦ تشرين الثاني الماضي ، وقد حضر الرئيس الالماني اريش هونيكر اليوم الاول بالاضافة الى عدد من الوزراء وكبار المسؤولين في الدولة والحزب ، كما لوحظ الاهتمام الكبير بالمؤتمر، حيث تواجد الرئيس الالماني في قاعة المؤتمر طيلة اليوم الاول من التاسعة والنصف صباحا وحتى الخامسة مساء ، كما لوحظ اهتمام وسائل الاعلام المختلفة ، واوساط جماهيرية واسعة بالمؤتمر واعماله.

توزع المشاركون على اربع لجان رئيسية ، ناقشت اربعة موضوعات عامة ، تتعلق بالادب والواقع ، الادب والعالم ، الادب والتأثير ، ثم الادب والوعي التاريخي . وبلغ عدد الذين قدموا مداخلات من المندوبين والضيوف تسعون كاتبا ، كما وردت للمؤتمر اكثر من ثلاثة الاف رسالة تضمنت ملاحظات مختلفة .

من جهة اخرى ، قدم رئيس اتحاد الكتاب الفلسطينيين اسعد الاسعد مداخلة قصيرة ، تناول فيها واقع الحركة الادبية والادباء في الارض المحتلة ، من المقرر نشرها ضمن كتاب المؤتمر .

وقد جرى التأكيد على مهمة الادب في المجتمع ، ودوره في عملية بناء العالم الجديد ، واكد معظم المتحدثين على الدور الكبير الذي يجب ان يتمتع به الاديب في عصر يتهدده الدمار والفناء ، جراء سباق التسلح ،وعسكرة الفضاء ، ومن هنا ، فقد ثمن المؤتمر عاليا لقاء الكتاب العالمي الذي انعقد في برلين في شهر مايو ١٩٨٧، ودعا الى اهتمام الكتاب بالقضايا العالمية الاساسية الاجتماعية والسياسية.

وقد وجه العديد من الكتاب الشباب الانتقادات للمنهاج السائد في تقييم الادباء الشباب ، وطالبوا برفع القيود التي فرضتها العقلية غير الموضوعية عند بعض النقاد والمسؤولين في دور

Digitized by Birzeit University Library

النشر والصحافة ووسائل الاعلام ، امام تقدم الاجيال الجديدة من الكتاب ، وشبهوا الحكم على الاديب شكلا دون مضمون عمله ، كما الحكم على الملابس دون النظر الى ما بداخلها.

كما جرى التأكيد على الموقف الشخصي في اغناء الموقف الجمالي مشيرين الى ان التناقضات هي التي تحرك المجتمع. ومن هنا فقد جرى التأكيد على اهمية الاستمرار في دفع الاديب الى ملامسة هموم شعبه ، من خلال ربطه بالواقع .

كما جرى الحديث عن علاقة الكتاب بالانتاج ووسائله المختلفة من جهة ، وتأثير التطور العلمي على الادب من جهة ثانية ، والاخذ بالاولويات في معالجة القضايا الادبية والكتابية ، كما لوحظ الاهتمام بموضوع المحافظة على البيئة . وجرى الحديث عن المسؤولية الرسمية ، والمسؤولية الاهلية ودور الادب في ذلك ، وقدم عدد من الكتاب مداخلات تتعلق بمحور "الادب والوقائع" من خلال مواقعهم المختلفة ، مصنع ، مزرعة ... الخ ، مؤكدين اهمية الربط بين الواقع والخيال - خصوصا في ادب الاطفال - .

وتناول عدد من المندوبين ، موضوع هرب عدد من الكتاب الى المانيا الغربية ، ودعا الى البحث في الاسباب الجوهرية التي دفعتهم الى ترك وطنهم. "ليس من اجل من هربوا ،ولكن من اجل الذين ما زالوا يتمسكون بوطنهم ويناضلون من اجل رفاهيته وتطوره ومن اجل ان يظل الوطن وطننا".

كما كان للعلاقة بين النقد والادب ، حيز كبير في النقاشات والمداخلات ، حيث رأى المتحدثون ، ان العلاقة بين الناقد والاديب ، هي علاقة جدلية ، وتطرق بعضهم الى وجود حواجز احيانا بين الكاتب والجمهور ، يفرضه الناقد بموقفه غير الموضوعي تجاه اعمال كاتب ما ، الى حد جعل من النقد السلبي عاملا مساعدا للكاتب في انتشار مؤلفاته ، جراء رد الفعل الناتج لدى الجمهور حيال موقف بعض النقاد من الكتاب الجدد ، والحكم المسبق لبعض النقاد على الاعمال الجديدة استنادا الى الاسم ، الشكل العام ، دون دراسة المؤلفات الجديدة للكتاب الجدد دراسة موضوعية.

وقد تقدم عدد من المندوبين باقتراح ايده المؤتمر ، بعقد لقاءات دورية لمناقشة ومتابعة البحث في المحاور الاربعة المقدمة للمؤتمر ، كما وجهت انتقادات لاذعة للدور الذي يلعبه التلفزيون في الحياة الادبية وخاصة في المسرح.

وفي نهاية المؤتمر ، تم انتخاب هيئة ادارية مكونة من تسعة وسبعين عضوا ، كما اعيد انتخاب هيرمان كانت - الكاتب والروائي - رئيسا للاتحاد للسنوات الخمس القادمة .

كما انتخب الكاتب المسرحي راينر كارندل نائبا للرئيس بالاضافة الى اربعة نواب اخرين.

Digitized by Birzeit University Library

اصداء ثقافية

اشكاليات المنهاج في الفكر العربي والعلوم الانسانية

صدر عن منشورات "دار توبقال" في المغرب كتاب بعنوان "اشكاليات المنهاج في الفكر العربي والعلوم الانسانية" ويشتمل على مجموعة من الدراسات التي القيت ضمن اطار "المناظرة المنهجية" التي اقامتها "جمعية البحث في الاداب والعلوم الانسانية".

ويقع الكتاب في مائة صفحة من القطع المتوسط ويحتوي على دراسات ثمانية دراسات لدارسين عرب.

نتاج سعدي يوسف

عن مؤسسة الابحاث العربية في بيروت صدر للشاعر العراقي كتاب جديد بعنوان "افكار بصوت هادي" واحتوى على مجموعة من المقالات التي تعالج قضايا الديموقراطية في الثقافة العربية ، ويقع الكتاب في ستة ابواب.

وضمن سلسلة "ذاكرة الشعوب" وعن مؤسسة الابحاث العربية صدرت ترجمة للكاتب سعدي يوسف لدراسة الروائي والكاتب المسرحي السكيني نغوجي واشيونغو بعنوان "تصفية استعمار العقل" والتي تعالج ظاهرة الكتابة الافريقية بغير لغتها.

جديد سعيد الجناحي

صدر ضمن سلسلة كتاب "الامل" الكتاب الجديد للكاتب والصحفي سعيد احمد الجناحي وحمل عنوان "عدك.. تطارد الارحنة".

والكتاب عبارة عن مجموعة من المقالات والتعليقات التي كتبها الجناحي نتيجة لتتبعه مجريات الاحداث في اليمنين.

خطاب الى العقل العربي

عنوان الكتاب الجديد للدكتور فؤاد زكريا والصادر ضمن سلسلة "كتاب العربي" حيث يطرح الدكتور فؤاد زكريا مجموعة من القضايا الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في العالم العربي ، ويحاول ان يبدع حلولا لتلك القضايا.

الكتاب العربي في معرض بيروتي

شاركت ٩٤ دار نشر عربية مختلفة في معرض للكتاب العربي في بيروت ، والذي اقيم بتنظيم من النادي الثقافي العربي وبالتعاون مع نقابةالناشرين.

والجدير بالذكر ان هذا المعرض تقليد سنوي ويأتي في ترتيبه الحادي والثلاثين.

Digitized by Birzeit University Library

شخصيات وادوار في الثقافةالعربية الحديثة

عن مؤسسة الابحاث العربية صدر كتاب "شخصيات وأدوار في الثقافة العربية الحديثة" للناقد اللبناني المعروف محمد دكروب. ويعالج دكروب نقديا اعمال حسين مروه والبير اديب وحنا مينا ، وكامل عياد ، ورئيف خوري وصلاح كامل ومارون عبود وغسان كنفاني وابو سلمى وصلاح جاهين وغيرهم.

والجدير بالذكر ان محمد دكروب يرأس حاليا تحرير مجلة "الطريق" الفصلية ، وله العديد من المؤلفات منها مجموعة قصصية بعنوان "الشارع الطويل" والتي صدرت عام ١٩٥٤ و"جذور السنديانة الحمراء" والتي صدرت في عام ١٩٧٤ و "الادب الجديد والثورة" والتي صدرت في العام ١٩٨٠م بالاضافة الى عمله المشترك مع الشهيد حسين مروه ومحمود امين العالم واخرين بعنوان "دراسات في الاسلام".

نشرة الدراسات الفلسطينية

صدر العدد العاشر من "نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية" . وقد تضمن العدد في "الصراع العربي الاسرائيلي" حرب الايام الستة للجنرال مردخاي غور وهو تأملات بعد عشرين عاما اضافة الى تقويم عقد النفط العربي واما في شؤون اسرائيلية فتضمن مقالا لسمير صراص بعنوان "في الذكرى الاربعين لتأسيس اسرائيل" و"صدوع في المفهوم الامني" لزئيف شيف و "الا ستندم اسرائيل كلها" لرون بن شاي. اضافة الى العديد من الاخبار والثوابت.

"عنابة"

ضمن سلسلة القرى الفلسطينية المدمرة التي يصدرها مركز الوثائق والابحاث في جامعة بيرزيت ، صدر العدد الخامس من قرية "عنابة" اعداد د.شريف كناعنة ومحمد استيتية، وكان صدر من قبل دراسات عن "عين حوض" و"مجدل عسقلان" و"سلخة" و"دير ياسين".

رواية جديدة لغابريل غارسيا ماركيز

يعمل الروائي الكولومبي ماركيز الحائز على شهادة نوبل للاداب عام ١٩٨٢ ،على انجاز رواية بيوغرافية جديدة عن بوليفار ، احدى الشخصيات المزموقة في الكفاح من اجل استقلال امريكا اللاتينية.

وتقول اوساط مقربة من ماركيز ان الرواية الجديدة اصبحت جاهزة ، وقد تدفع للطبع قريبا، ومن الاعمال التي اعقبت رواية ماركيزالاخيرة "الحب في زمن الكوليرا" هي الاعداد لبرنامج تلفزيوني - ادبي يجري اعداده بالتعاون مع عدد من كبار المخرجين.

"الشباب والزواج" كتاب جديد للدكتورة ماري مشعور - حداد

صدر للدكتورة ماري مشعور - حداد كتابا جديدا هو "الشباب والزواج" وهو بحث علمي طبي اجتماعي لاهم الامور التي تهم الشباب حتى الزواج ويقع في ٣٢٠ صفحة ويتألف من ١٧ فصلا. وكان قد صدر للمؤلفة كتاب "البلوغ والمراهقة" عام ١٩٨١.

Digitized by Birzeit University Library

الى الكتّاب

- تفتح "الكاتب" صفحاتها للدراسات والابحاث والاراء والاعمال الادبية التي من شأنها ان تسهم في بلورة ثقافة وطنية فلسطينية ، او تنبع من حس بها.
- يجب ان تتبع الدراسات المرسلة الى "الكاتب" الطريقة العلمية من حيث الدقة وذكر أسماء الاعلام كاملة لدى ورودها للمرة الاول وذكر المراجع عند اعتمادها.
- في حال ارسال مادة طويلة يمكن نشرها في اكثر من عدد او الاقتصار على اجزاء منها .
- معلومات موجزة عن نفسه على ان تتضمن الاسم الكامل ، المهنة ، والعنوان ، والهاتف ان وجد .
- يتم اعلام الكاتب قرار النشر او عدمه خلال ٤ اشهر من وصول مادته المرسلة . علما بان ما يرد للمجلة لا يعاد سواء نشر او لم ينشر .
- المادة المرسلة الى "الكاتب" تكون خاصة بها وحدها .
- نرجو ان تكون الكتابة بخط واضح او مطبوع على الالة الكاتبة ، وعلى وجه واحد من الورقة ، مع ترك مسافة معقولة بين الاسطر .
- تعنون المراسلات باسم رئيس التحرير الى : مجلة الكاتب / ص.ب (٢٠٤٨٩) - القدس - .

الى دور النشر

- تدعو "الكاتب" دور النشر والمؤلفين الى ارسال الكتب الجديدة او عناوين هذه الكتب لكي تختار المجلة منها ما تود مراجعته على صفحاتها.

* قسيمة اشتراك *

ارفق طيه صكاً / حوالة مصرفية بمبلغ ..... مدفوع لامر **مجلة الكاتب .**

قيمة اشتراك واحد لمدة — على ان ترسل الى العنوان التالي:

الاسم _____ Name _____

العنوان _____ Adress _____

المدينة _____ City _____

البلد _____ Country _____

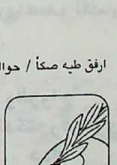

قيمة الاشتراك

	ستة اشهر	سنة	سنتين
للافراد	١٥ دولار	٢٥ دولار	٤٥ دولار
الاشتراك المحلي	٢٥ دولار	٤٠ دولار	٧٠ دولار
اوروبا	٣٠ دولار	٥٠ دولار	٩٠ دولار
بلدان اخرى			

الاشتراك السنوي: للمؤسسات المحلية ٥٠ دولار — اوروبا ١٠٠ دولار — بلدان اخرى ١٥٠ دولار

ترسل قسيمة الاشتراك مع قيمته الى العنوان التالي:

AL - KATEB.P.O.BOX 20489 EAST JERUSALEM.VIA ISRAEL

Digitized by Birzeit University Library

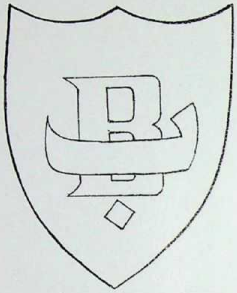

الأمان الكامل هو شعارنا

الوكالة العربية للتأمين

سعيد برانسي وإخوانه

القدس - ٢٢ شارع صلاح الدين - هاتف رقم : ٢٨٨٣٧٩ و ٢٧٢٧٥٣/٠٢

ص.ب : ١٩٥٥٠ - القدس ٩١١٩٤

الناصرة - مركز البشارة التجاري هاتف : ٧٩٢١٩/٠٦٥

Digitized by Birzeit University Library

صورة لاحدى المظاهرات الفلسطينية في مخيم قلنديا - شمال القدس

Editor
As'ad Al-As'ad
P.O.BOX 20489 Jerusalem
TEL.:(02)856931

AL KATEB
FOR HUMAN CULTURE
AND PROGRESS

Digitized by Birzeit University Library